تشيخ المدن
بعد رصاصة حرب واحدة

الكتاب: تشيخ المدن بعد رصاصة حرب واحدة (قطوف)
المؤلف: حميد عقبي
النّاشر: دار الدّراويش للنّشر والتّرجمة- كاوفبويرن - جمهورية ألمانيا الاتحادية
Darawesch Verlag

العدد: ٥٢٠
الطبعة الأولي: أبريل ٢٠٢٣
١٦٤ ص؛ ٢١× ١٤ سم.

الكتب والدّراسات التي تصدرها الدّار إنما تعبّر بالضرورة عن آراء ووجهات نظر واجتهادات أصحابها، ولا تمت لرأي الدّار بأي صلة.

تم الإيداع فى المكتبة العامة في كاوفبويرن ألمانيا : ٢٠٢٣
بواسطة MVB
(ISBN) (ردمك) الورقي 978 - 3 - 98529 - 246 - 2
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي: بدر السويطي.
الصفّ الضوئي والإخراج الداخلي: محمود عنتر
فرز الألوان والتنفيذ الطباعي: دار الدراويش للنشر و الترجمة
المدير العام: بدر السّويطي

للتواصل:
الدّراويش للنّشر والتّرجمة
daraldarawesh@gmail.com
هاتف: 00491627040179، ص.ب: 87600
شارع لاينار هانغ رقم ٣١ - كاوفبويرن - جمهورية ألمانيا الاتحادية.

كافة حقوق النّشر، الطبع والاقتباس محفوظة، عدا حالات المراجعة والتّقديم والبحث والاقتباس العادية ذكرًا للمصدر؛ فإنه يحظر إعادة إصدار، نسخ، تصوير، ترجمة أو اختزان -ورقيًا أو إلكترونيًا- أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها في نطاق استعادة المعلومات -سواء كانت تصويرية، إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التّسجيل الفوتوغرافي أو التّسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة وغيرها-، دونما الحصول على تصريح خطي مسبق من النّاشر والإشارة إلى المصدر.
وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع -دون موافقة كتابية- يعرّض صاحبه للمساءلة القانونية.

تشيخ المدن
بعد رصاصة حرب واحدة

حميد عقبي

©
الدّراويش للنشر والتّرجمة
AL-DARAWESH FOR PUBLISHING & TRANSLATING
W W W . D A R A W E S H . C O M

جمهورية ألمانيا الإتحادية -كاوفبويرن
Kaufbeuren – Germany
2023

تشيخ المدن بعد ساعة حرب واحدة نص مفتوح

صنعاءُ كزارعةِ الزهور
لا ترفضُ أحداً
تفتحُ صدرَها للمطرِ، والأغاني
يفوحُ عطرُها الصباحيّ
وطعمُ النبيذِ، بعد الظهيرةِ
تعجّ سُحبُ البخورِ ليلاً
ترسمُ بهجةَ العناقاتِ الورديةِ
نوافذُها ترسلُ الألوانَ والضوءَ،
تحلّق في السماءِ كفراشةٍ
لا تمنعُها القيودُ منَ الغناءِ
أحبتْ، واحتضنتِ الكثيرين
لا أحدَ يشعرُ بالغربةِ فيها،
نسيها أحبّتُها،
هجرَها الكثيرون
قليلون ما يزالون يقولون فيها الشِّعرَ،
قليلون يحلمون بها،
قليلون يتذكرون المعروفَ

ستظلُّ بهجة الروحِ
تمدّ يدَها بالحمامِ.

سمواتي مليئةٌ بالأحلامِ
فقط ابتسمي بسعادةٍ، ولو في حلمِ يقظةٍ
أتعذّبُ في قفصِ الذكرياتِ،
رجفةٌ تلو رجفةٍ تهزّ جوارحي،
تظلّين هاجسي، رغمَ محاولاتِ الهروبِ
ترفضُ الريحُ المغادرةَ،
تطرقُ نوافذَ البيتِ،
بعد أن ابتلعتِ البردَ، والمطرَ
ظلّتْ تعطسُ،
ولم تجففْ أجنحتَها التي تُغطّي الشمسَ أيضاً
الصيفُ قادمٌ؛ ليُطيلَ عمرَ النهاراتِ،
ستهاجرُ الطيورُ كعادتِها،
لكنها تنتظرُ لحناً، وقصيدةً وقصصاً؛
ليرويَها الذكورُ للإناثِ، خلال موسمِ التزاوجِ،
عندما كنتُ طفلاً
حذّرتْني العرّافةُ:
إياك، والحبّ!

تمنّيتُ منَ الله ألّا يخلقَ الحربَ
الشروقُ الرماديُّ ينزلقُ على طرقٍ غيرِ مُعبّدةٍ،
أسمعُ بوضوحٍ صدى التلالِ البعيدةِ
تزحفُ الجبالُ المهجورةُ نحو الشاطئ،
تتوقُ لمعانقةِ الموجِ،
وأن تكسوها الخضرةُ
تعلو سحبٌ برتقاليةٌ من وسطِ القرى والمدنِ،
تتسلقُ ساقَ السماءِ،
أشعرُ بالقليلِ منَ الحزنِ
الأمنياتُ في داخلي خائفةٌ
ليتها تحترقُ،
رغم كلِّ ذلك تُولَدُ
أغانٍ جديدةٌ.

يهطلُ الفراغُ،
يملأ غرفتي
أُصبحُ شخصاً حياً يتوقُ لموتهِ!
على مسافةِ خمسينَ متراً توجدُ وسطَ المدينةِ
أضواءُ النيون، وواجهاتُ الحاناتِ،
وفتياتٌ يلبسنَ تنوراتٍ قصيرةً
الكأسُ على الطاولةِ
أمدُّ يدي،
تبدو خاليةً منَ العظامِ!
عندما تتهدمُ النجماتُ الصغيراتُ
تعطسُها السماءُ كرشّةِ عطرٍ يميلُ للبرتقاليّ،
تُسرعُ فراشاتُ أبولو؛ لوضعِها على أجنحتها،
أودُّ لمسَ بشرتِها الناعمةِ،
أن يبلّلَ الندى أفخاذَ الموجِ
خذيني من هنا
اللاضوءُ يعصفُ بي؛
لنكسر مسلماتِ الفيزياءِ،
نتجاوزُ قانونَ الأحوالِ المدنية
أريدُ التحرّرَ منَ الشرنقةِ الرّمادية
لنلتقِ..

ها هي جدرانُ سدِّ يأجوج ومأجوج تتشقّق،
سنخرجُ الفراشاتِ الأميراتِ
لنكنْ معاً في آخرِ صلاةٍ
لحظةَ الانبثاقِ
لتكنِ السكرة،
الرعشة،
القصيدة.

ينمو الصدأُ في بطونِ الأبوابِ المُغلقةِ
تتكاثرُ النبتاتُ الشوكيةُ،
تنخرُ الرطوبةُ حوافرَ الجدرانِ،
في انتظارِ أن تتفتّح زهرةُ الصبارِ
تفتحُ الشمسُ صدرَها عارياً
لا أعلمُ ما يُفكّرُ فيه قلبُك؟
بلادي ما تزالُ مظلمةً
الموتُ وحدَه بطلُ كلّ الحكاياتِ
يكبر الضجيج في داخلي
أحاولُ أن ألتحقَ بسرابِ الأحلامِ
أتبعُه كمجذوبٍ فقد عقلَه
لا أحدَ يعتني بي،

أو يرشدُني إلى عنوانكِ المجهولِ
بوسعِك البحثُ على الويب لمعرفةِ ما أكتب
اهبطْ أيها الليل، أو غادرْ
بدونِها أرى القمرَ كرةً باليةً،
والنجمات ناعسات في جُبٍّ سماويٍّ موحشٍ
يحاولنَ التحرّرَ
يفتحُ الحوتُ فمَه
أخافُ عليهنّ
أرتعشُ،
تموتُ الرغباتُ في زمنِ القحطِ
غبارٌ،
رمادٌ،
تحجّرتْ ريشتي،
عاجزٌعنِ الرسمِ
دونكِ،
دونَ ريشةٍ، وألوانٍ، وماءٍ، وحلم.

شَرهةٌ هي هذه الحربُ
ما تزالُ تُخفي في أجنّةِ الرمادِ أرواحاً، وبقايا أجسادٍ
تبسطُ ظلمتَها على المدنِ والقرى،
تكبّل الموجَ، وتلتهمُ بياضَه
يحلمُ النخيلُ بالتزاوجِ الخريفَ القادمَ
أمنياتُ أشجارِ التينِ ما تزالُ مؤجلةً،
وياسمين تهامة أيضاً
يتصاعدُ البخورُ في صلواتِ الجنائز،
يحاولُ ترميمَ سمواتٍ مشققةٍ
قل للأرواحِ: امتطي المعاريجَ إلى أعلى،
أبلغيهم رسائلَ الأنين،
فالموتُ يبالغُ في قسوتهِ
كبطلٍ أسطوريٍّ يرتكبُ حماقاتٍ مرعبةً
طالَ صبرُ الحقولِ،
تنتظرُ مطراً عذباً غيرَ ملوثٍ
بقايا الرصاصِ، والقنابل لا تزهرُ ورداً!
أهازيجُ الصيادين حزينةٌ،
كذلك ما يكتبُه العشاقُ
يا أبي: هل أبلغتَ الله أن الأطفالَ يحبونه،
وكذلك العجائز يمجدونه،

والحبالى منَ النساء يهتفن باسمه،
الرّضّعُ يعضون أياديهم
انتهى زمنُ المعجزاتِ،
لا لبنَ في الأضرعِ اليابسةِ، ولا الأصابع المحترقة
قلت لها: لم أعُدْ شَخصاً سوياً
نعم، أتذكّرُ عناقاتِنا،
وخارطةَ جسدِك الشهيّ
البسي يا فتاتي فستانَكِ الورديّ
تشتاقُ عيناي إلى الأخضرِ، والأزرقِ
يحجبُ الضبابُ هنا الرؤيةَ
يلتفّ حول الأشجارِ المُورقةِ
يخفي روائحَ عطرِكِ
يلاعبُني
تارةً يفتحُ ثقباً صغيراً
أشتهي التحديقَ في الأفقِ
إلى المسافاتِ البعيدةِ،
يعودُ لترقيعِ الفتحاتِ الصغيرةِ
يزجّ بي في الغيابِ
كلُّ شيءٍ أصبح بعيداً
أنتِ وقريتي،

وأبي الذي تسلّق جذعَ السماءِ،
ولم يعُدْ.

ما تزالين تقرعين نوافذَ قلبي بقوةٍ،
خيالاتي في حالةِ فوضى
ينسكبُ صوتُك كقطراتِ الندى المتناسلِ على الأزهارِ
في اللاوعيِّ أحتفظُ بشريطِ كلِّ الليالي المثيرةِ،
أبدو كسمكة بيتا الملونةِ خارجَ الماءِ،
عاجزاً عن أيّ فعلٍ،
معْ كلِّ لحظةِ فراقٍ أفقدُ شيئاً ما
تُولَدُ القصيدةُ مصابةً بمتلازمة داون،
هي غيرُ قادرةٍ على الركضِ إليك،
انظري منَ العينِ السحريةِ لبابِكِ الموصدِ
يبدو المكانُ صامتاً،
الدرجُ مظلماً
تنامُ المدينةُ إلى الظهيرةِ في نهاراتِ الأحدِ
تلتقطُ القطاراتُ أحذيتَها، وتمضي بعيداً
لا أحدَ منها يقبلُ أن يحملَني إلى هناك
هناك الحربُ
تحبلُ، وتلدُ الجوعَ والمرضَ

يتقمصُ الموتُ الدورَ السهلَ
كوحشٍ أعورَ لا يأبهُ بما سيحدثُ
أيها الموتُ بنيتُ لك صورةً جميلةً في داخلي
أغراني جان كوكتو في رسوماتِه، وأفلامِه بك
أعلمُ أنك قريبٌ مني
لم يبدأ قلبي يخفقُ خوفاً منك
أتحسّسُ وجهَ لاكشمي الجميلَ
يمكنُك أن تشعلي شمعةً من أجلها،
أن ترقصي ليلةً كاملةً، دون أن تشعري بدوارٍ
سأنثرُ موجاتِ بخوري اليمانيّ المعطّر
نحلمُ بالملاكِ الأبيضِ
بظلالِ النخلاتِ الحبالى
ابتسامةٌ منَ الله
كلمةٌ واحدةٌ منه
تزجرُ ملاكَ الموتِ
تُخمدُ براكينَ الحربِ المستعرةِ هناك

هنا الطقسُ باردٌ جداً
تبلّلَ الحطبُ،
تبلّلتْ أحلامُنا
لا مظلاتِ تُباعُ على الأرصفةِ
يبدو المشهدُ قاتماً، طالما أن الله ما يزالُ صامتاً.

الموتُ أشبهُ برحلةٍ مدرسيةٍ
فيه الكثيرُ منَ الخوفِ والغرابةِ
يشتاقُ لنا أهلُنا وأحبّتُنا،
لكننا لا نعودُ
ما أجملَ أن نرحلَ بأجسادِنا كاملةً، دون تشوهاتٍ!
للبخورِ، والعطورِ سحرُها
تجعلُنا نبتسمُ
منذ سنواتٍ تغيرتِ الصورُ، والطقوسُ
في زمنِ الحربِ يخافُ العشاقُ
في بلادِ الحربِ تزدادُ قسوةُ السماءِ
قالتِ النخلة: أتلهفُ لعناقاتِ الخريف
قالتِ الريح: أجنحتي مبتورةٌ
قال الماء: السمومُ تملؤني من بقايا القنابلِ القذرةِ
ادعيني إلى عالمك

لا تتركيني نقطةً في قلبِ موجٍ غاضبٍ
لا أخافُ الحوتَ،
ولا أن أمكثَ في بطنِه،
أخافُ أن يقذفَني من بطنه وحيداً
لا أشجارَ يقطين هنا، أو هناك
انكسرَ الظلُّ
انصهرتِ الرغبةُ
هنالك أحلامٌ يجبُ أن تعيشَ
أن تكبرَ قليلاً
القصيدةُ واحتي الصغيرةُ
خازنةُ الذكريات
يركضُ النهرُ بأقدامٍ حافيةٍ
يتخفى البحرُ تحت عباءةِ الضباب
أحاولُ تصويرَ المشهد
يشغلني طيفُك البعيدُ
ليت عقاربَ الساعة تدقُّ في عقلك
عند السابعة مع أولِ خطوةٍ لليل
كنا ننسكبُ في إبريقِ اللذةِ
نفعلُها كعشاقٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ .

كطائر حجلٍ وحيدٍ على غصنٍ جافٍ
في ليلةٍ باردةٍ مرصعةٍ بالنجوم
والقمرُ في حلّةِ البدرِ
ينثرُ بكرمٍ بتلاتِه الحريريةَ للعشاق والشعراءِ
كان قيسُ بن الملوح يدفنُ حزنَه في بحيرةٍ زرقاءَ كبيرةٍ
تتطايرُ الفراشاتُ البيضاءُ من فمِ الأطفالِ الموتى
تخرجُ العناكبُ السودُ من فمي راكضةً
تلتقمُ هباتِ النسيم
سنواتُ القحطِ لا تنتهي
تكتبُ الحربُ كتابَ الألم
كثيرون يصبحون منسيين
كثيرون لا يحظون بجنازاتٍ، ولا صلواتٍ
أنشرُ تغريدةً إلى الحبيبة
سأكتبُ لك لو أعطتني يدُ الله محبرةً صغيرةً
والقليلَ منَ الصورِ المجنونة.

تراودُني صورةُ حوتٍ يفتح فاه
أرى الصورةَ واضحةً، رغم أن المطر يعبثُ بكلّ شيءٍ
بعد مغادرةِ الربيع ظلتِ الشمسُ كسولةً
البرودةُ تسرقُ رغبة العناقاتِ على الأرصفةِ
تُضطرُ النادلاتُ في الحانات لتغطية صدورهنّ الأنيقة
قلت لها: تعالي إلى حلمٍ واحدٍ نتقاسمُه
لي الثلثُ، ولك الباقي،
أو خذي ثلاثةَ أرباعه.
الظلمةُ تكبرُ
تتضخّمُ أكبرَ من حجم الحوتِ
نجومُ البحر جميلةٌ، لكنها شرسةٌ
الطحالبُ تعاني من اختناقاتٍ مرعبةٍ
ما تزالُ السماءُ ترسلُ الحريقَ
مدٌّ، وجزرٌ في داخلي،
عندما كنت طفلاً تخيلتُ كلّ هذه الحروبِ،
لكن أحداً لم يُصدقْني
أخبرني ملاكٌ صغيرٌ أن العشقَ لعبةٌ طفوليةٌ
نمارسُها عندما نكبرُ
يبدو أنه نسيَ الكثيرَ منَ التفاصيلِ المُهمّةِ،
أو تعمّدَ أن يُغريني باللعبة

لم أكنْ أسأل كثيراً عنِ الموتِ
ظننتُ أنه يأتي منَ السماء كملاكٍ رحيمٍ
يأخذُ المرضى والعجزةَ إلى السماء،
يتركُ الأطفالَ يكبرون،
والعشاقَ يلعبون لعبتهم، ولا يؤذون غيرَهم.
تعالي لنلعب، فقد كبرنا بما فيه الكفايةُ،
افترقنا، وتألّمنا بما فيه الكفايةُ
لتكنْ قصّتُنا قصيرةً لألـف ليلةٍ وليلة
الحبُّ الأبديُّ يتحوّلُ إلى تراجيديا
كثيراً ما يسرقُ الموتُ دورَ البطولة!
كثيراً ما يسرقُ الألمُ والرعبُ التفاصيلَ المُهمّةَ.

بعيداً بعيداً عنِ الضوءِ والموجِ،
عن الشمسِ اللعوبةِ، تارةً تكشفُ ساقَها المغريةَ،
وتارةً تغطيها،
والقمر الضعيف المتواري كلّ ليلةٍ
بعيداً عن الأصدقاءِ الشعراءِ، بعد غيابِ الكأسِ، وغلاءِ النبيذ
الفراغاتُ تملأ الأرصفةَ، وأغصان الأشجار
نسيتِ الطيورُ المهاجرةُ خارطةَ العودة،
نسيَ البحرُ زرقتَه،

والزوارقُ تجدّفُ بقوةٍ
خدعتْها نجمةٌ شابةٌ
بعيداً عن كلّ شيءٍ، بما في ذلك الأحلامُ والأماني
تظلّ قماشةُ اللوحة تتشبثُ بالبياض،
والليالي السودُ لا تحملُ ما كانت تحمله من لذةٍ
الغروبُ وحدَه يحتفظُ بوهجهِ الساحر
ماذا يدورُ في رأسها اللحظة؟
ربما تفكّرُ بالنظر إلى السماء
لا يجبُ أن تصدأَ الرغباتُ
أولئك الذين يتمسكون بغطاءِ الحبِّ، ستكون الجنةُ مثواهم،
عندما تقاومُ وردةٌ كلَّ هذا الجفافِ العاصف،
تحتفظُ بعبيرها، وترسلُه إلى روحِ شاعرٍ
تستحق أن نلبسها كتعويذةٍ مقدسة.
أُناديها:
لا تكوني كقطرةِ ندى تتخفين في الأغصان،
المخاطرُ كثيرةٌ، فالحربُ هناك لا تزال جائعة ومتوحشة.
صمتٌ تتقاذفُه الأمكنةُ
يصلُ إلى عنانِ السماءِ
أخافُ عليها
هي ليست هنا، ولا هناك

ليست في أيّ مكانٍ،
لكن ابتسامتَها عالقةٌ في كلِّ مكانٍ أذهبُ إليه.

ما زلتُ أحتفظُ ببعضِ أغراضكِ،
أحدقُ فيها،
تنصتُ لي كأنها تنتظر عودتَكِ
متى يمكنُني حلُّ ضفائرِ شعركِ الموج مرةً أخرى؟
في دواخلي حطامُ ذكرياتٍ، لكنها تعودُ، تنمو
أنظرُ إلى السماءِ بكل فراغاتِها
تختزنُ الضوءَ والظلمة،
والملائكةَ اللطيفةَ الممنوعةَ منَ العشقِ
تبتعدُ السماءُ عنِ الأرضِ
تتسعُ الفوارقُ،
تتوه القواربُ
تفقد أشرعتها، قبل أن تصلَ إلى شاطىء الأحلام
في الغاباتِ الغريبة ما يزالُ أنكيدو على طبيعته الوحشية
لا تزال الجميلةُ تعجنُ خبزَها الصباحيّ،
تبحثُ عن معطراتٍ، وأعشابٍ خاصة
لم يأبهْ جلجامش أن يهديَها وردةً صغيرها: والواب صغيرةً.
دعتْ أنكيدو إلى وليمةٍ شهيةٍ

أبرزتْ مفاتنَها، وقالت: هَيْتَ لَكَ!
كان اللقاءُ والقبلات، وأكثر من ذلك
أغرته بالكأسِ، والغناءِ، واللذةِ
قالتِ النخلة: أريدُ أجنحةً، وسبعةَ أثداءٍ
تدرّ لبناً، وخمراً للأطفالِ والجياع
قالت ناقة الله: سأصومُ شهراً، وأُهدي النخلةَ كلَّ الماءِ،
لكن الملاكَ المُكلّفَ بحراسة الناقةِ لا يزال يرفضُ القرارَ
يسوقُها بسياطٍ نحو الوديان
والأمهاتُ يبكين.
تجمّعَ الجياعُ بقواريرِهم
طلب الملاكُ مدداً سماوياً لفضِ التظاهر
صدري يضيقُ
لا أحدَ يدري ماذا سيحدث؟

تصفقُ الريحُ
تركلُ نافذتي، ثم تقهقهُ، وتصافحُ أغصانَ الشجر
يحبو الليلُ بعباءةٍ مرقّعةٍ
يفتحُ القطارُ أبوابَه
معظمُ الكراسي محجوزةٌ، وخاصةً تلك قربَ النوافذِ
يُخيّلُ لي أن عنكبوتاً ينسجُ عشاً بسقفِ المحطة
نجح في مراوغةِ كاميراتِ الرقابة، والتسللِ دون هويةٍ مدنية
ضحكتِ الجميلة كريتي سانون منَ المشهدِ
ألهمَها الرقصَ
سارعتِ الريحُ تمازحُها
سلبتها الساريَ المزركشَ
ظهر صدرُها، وتلك الوشمةُ المثيرةُ!
حاول الكمسري السيطرةَ على الموقف،
صفيرٌ، وتصفيقٌ، وضجيج
تدافعتِ السُّحبُ هي الأخرى
أفسدَ المطرُ زينةَ الفتيات؛
لأني من محبّي المطرِ بقيتُ واقفاً،
أطمعُ في محادثةٍ قصيرةٍ مع كريتي
دقتِ الساعة السابعة،
غادرَ القطارُ،

انسكبتْ آخرُ قطرةِ مطرٍ على نبتةٍ توشكُ على الهلاك
شقَّ البرقُ بطنَ السماء،
دوى الرّعدُ؛ ليعلنَ نهايةَ الحكاية.
.....
*كريتي سانون ممثلة، وعارضة أزياء هندية .

ماذا استفدنا من تحطّم قلبينا بسببِ الفراق؟
أحدثَ عشقنا الكثير منَ الفرح والفوضى في حياتنا
كلّ شيءٍ حدثَ بسرعةٍ، دون تخطيطٍ
أنا مخطئٌ في جعل حياتي خاليةً بدونكِ.
طار العصفورُ حالماً بالحرية،
لكنه ضلّ طريقَه إلى الأبد
عيناي تبحثان عنه
وجهُ السماء يتبدلُ كلياً في زمنِ الحرب
كأنها لا تعرفُنا،
تُنكرُ الأرض، والشجر، والبحر
سرتُ معكِ تلك الخطواتِ في أزقة هذه المدينةِ
أسمعُ خطواتِك كلَّ لحظةٍ
تجرفُني قدماي إلى تلك الحاناتِ،
احترقتْ تعويذاتي هناك،

في قصفٍ صاروخيٍّ غيرِ مقصودٍ، بحسب البيانِ العسكريّ
احترقتِ الحقول،
غادرتِ الأغاني
لا أستطيعُ أن أكونَ سعيداً
لا أستطيع أن أكون شاعراً
لا أستطيع أن أكونَ أيّ شيءٍ
أسمعُ موسيقى، وأغاني مهرجانِ ديوالي
فرحة الآلهة الهندية
روائح الحلوى
والجميلاتُ يرقصن
الشموعُ تُعيدُ بهجةَ الأرضِ
في بلادي الشموعُ المستوردةُ رديئةٌ جداً،
تذوبُ بسرعةٍ
ضعيفة كالأجسادِ
المباني متهالكةٌ، ومظلمةٌ
الملوحةُ نخرتِ الجذورَ منَ الأسفلِ
والقصفُ دمّرَ السقوفَ منَ الأعلى
مواسمُ الخرابِ لا تنتهي
تمنّيتُ أن أعودَ إلى المنزل، وذكرياتِ الطفولة
إلى الرفاقِ، والأصدقاء

إلى حضن أمي
ثلاثُ نخلاتٍ قرب بيتنا
يرقصن للشروقِ والغروب
كنت أتقنُ لغةَ الحديث إليهنّ
كنت أتقن أكثر من لغةٍ
والجداتُ المؤمناتُ
يبشرن العالمَ بالسعادة يومَ نكبر
هرمنا
هرمتْ لغتُنا
ماتتِ الجداتُ الصالحاتُ
مات أبي الطيبُ
مات الكثير منَ الأصدقاء القدامى
والكثير منَ الأماكنِ القديمة .
.....

مهرجان ديوالي من أشهر المهرجانات الشعبية والمنتظرة بلهفة في الهند، يستمر لخمسة أيام متتالية في شهر أكتوبر

تبدأُ قصّةُ كلّ حبٍّ بنزولِ نجمٍ منَ السماء إلى الأرض
بتصفيق ملاكٍ
يُعاقبُ الملاكُ بجعله نبتةَ صبارٍ في محطةٍ مهجورةٍ،
أو وادٍ غير ذي زرعٍ،
أما النجمُ فقد ينسى أنه لا يُتقنُ السباحةَ،
ينسى أدواتِ الأمان منَ الغرقِ
إلى الآن لم يتمّ الإبلاغُ عن فقدانِ نجومٍ
لا جثثَ، ولا بقايا أجسادٍ
لم يكتسبِ البحرُ لوناً فضياً،
وما تزالُ القرى على الساحل مظلمةً
تبيض الشمس نجوماً كثيرة
تتحول الملائكة إلى نبتاتٍ وأشجارٍ في زوايا مقفرةٍ
أنزلَ الله نهرَ الجانغ منَ الجنة إلى الأرض،
يشربُ الناسُ منه بعد ولادتهم، وقبل موتهم
في بلادي تحرقُ الحربُ الماء
يتفحمُ الشجرُ، والحجر، والبشر
ليت الله يُنزلُ نهراً إليها،
أو يقذف بشربة فردوسية
أو يعيد إرسالَ ناقةٍ مقدسةٍ تدرّ العسلَ، والحليب،
أو حتى سحابة مباركة

تكتب النوارسُ رحلةَ الشتاءِ، والصيف،
تكتبُ عنِ الحربِ، والعشقِ
عنِ المدنِ الساكنة في قلبِ السواد،
والشمس الجبانة التي لا تشرقُ هناك،
والموتُ يمسكُ مظلته
يصطادُ بها ضحاياه،
ولا يهشّ عنهم الغازاتِ السامة، ولا القنابلَ الفوسفورية
في بلاد الحرب لا يُظلُ أحد في ظله
في البلدانِ الأخرى يتقمّصُ دورَ الملاكِ الرحيم
قلت لها: لا الليلُ، ولا البحرُ يعرفُني منذ افترقنا
لا أتقنُ المبارزةَ بالسيوف، ولا رميَ الرماحِ
أعرفُ طريقة مسْكِ القلم فقط،
وأتركُ الطفلَ بداخلي يهذي .

تعرجُ الشمسُ في مشيتها بصدرِها العاري
تبلغ الإثارةُ مداها بعد الظهيرة
تراكض نحو الحاناتِ
تعج الساحاتُ بمظاهراتٍ ضدَّ غلاءِ الأسعار،
لكن للعشاق عالَمهم الخاصَّ،
رقصاتهم المميزة
يقدسون كلَّ آلهة الحبِّ دون تمييزٍ، يمزقُ الصمتُ جدرانَ القصيدةِ
يتسلل إليها الخوفُ
تولد مبتورةَ الأطرافِ
تعجز عنِ التحليق
الطائراتُ الورقية الملونة وحدها تطير
كنا أطفالاً صغاراً نحاولُ سدَّ ثقوبِ السماء،
نرسل إلى سكان السماء بعض الأماني
كنا نودُّ صداقتهم
نسمع الحكايات، والأساطير عنهم
عن قواهم الخارقة،
وجمالهم النوراني،
لكن الريح تجرفُ كلّ شيءٍ
والموجُ أيضاً
أجلس في حانةٍ بشارعٍ خلفيٍّ،

حيث لا ضجيج
أستمع إلى همسات الطفل بداخلي
أدوّنُ ما يقوله على هاتفي المحمولِ الذكيّ
أرتكب بعض الأخطاء الإملائية أحياناً
أنشر ما يقوله على مواقع التواصل الاجتماعيّ
قد يكون ما يُمليه خارج الكتابة
أذهب إلى البحر وحدي
أتأمل زرقته
السفن بعيدةٌ
والسحب بعيدةٌ
تفاعلاتُ الضوءِ مع ما يحيط بي
كأنها صلواتٌ جماعية
من كتابٍ مقدسٍ لم يُنشر بعد
تسألني: هل قال الله كل كلماته؟
أم نطالبه بالسكوت!
قلت لها: كل ما أعرفه أن الله يكلم الأطفال والمجانين،
ومرضى الزهايمر أيضاً.

تشيخُ المدنُ بعد ساعة حربٍ واحدة
تُنكس رأسها زهرةُ عبادِ الشمس،
وبالسوادِ تتشح زهرةُ اللوتس
جفَّ قلم نشوان الحميري
رأيت البردوني يمسك فحمةً،
يرسم شفاهَ وردةٍ على قبره
تحبو الريح بشعرٍ منكوشٍ ومتصلب
يقطر من أجنحتها القارُ
تتراكضُ أحصنة الظلمة
بقايا حياةٍ لا تصورها كاميراتُ نشراتِ الأخبار
ينهض الجوعُ؛ ليلقي خطبة عن أجر الصابرين
للعشق سبعة أبوابٍ يمكن الدخولُ منها
كالجنة والجحيم،
وله بابٌ واحدٌ للخروج
للحربِ ألفُ بطنٍ، وألفُ ضرسٍ وناب
تأكل البسطاءَ والفقراء،
وتلتهم الأطفالَ الجوعى
تمضغ النساءَ الحوامل والجدات.
لا تزالُ حمامة السلام بيضةً صغيرةً
بسبب أنفلونزا الطيور، ربما يُعدمون كل البيض

تمدُ بلقيسُ يدها؛ لعلها تنقذ البيضة الثمينة
تتسارعُ الإنذاراتُ
تنحرك فرقةٌ من بلاك ووتر؛ لاغتيال ملكة سبأ
صرخاتٌ تناشد الملك سليمان أن ينقذ الحسناءَ،
لكنه ما يزال صامتاً
قطعوا الألسنة والأقلامَ والأصابع
وقالوا: اكتبوا قصيدةً تمجّد الأمل
قالت: اقتربَ الليل، وذهب نصفه، وأنت تفكر،
وأنت تكتب، وتحلم!
جسدي المعطر يناديك
قلت لها: أبحث عنِ الشمس آلهتنا القديمة
كانت ترسلُ المطر النقيّ،
تنضج التمر العسليّ، والقهوة المسكرة،
والخمر يوزع مجاناً على الشعراء
كانت رباً مبدعاً وحنوناً
تُباركُ القبلاتِ والعناقاتِ
تُهدي العشاقَ الظل والنسيم،
تنثرُ عليهم الياسمين،
تضحكُ للأطفال،
وتقبل صلاةَ الجداتِ والمجاذيب.

تشتاقُ المدنُ إلى الآلهة القديمة
أن يبعث الله أنبياءَ، ورسلاً، ومعجزاتٍ
يحضون الناسَ على الفلاحة والغناء
يرفضون الحروبَ، والقتل، والتمييز
يقتربُ يومُ القيامة،
وقريباً سيتزاوجُ النخيل
تخرجُ الفراشاتُ من اليرقاتِ
تُعيدُ إلى القصيدةِ الألوانَ الفاتحة
يحتاجُ الأطفالُ من الله أكثر من ذلك
تلفازاً يبعث الأحلامَ الجميلة
أغاني جبليةً تثيرُ الرغبة للرقصِ
يعودُ يسوعُ ينشد بصوته تراتيل حبِّه لأمِّه العذراءِ
يباركُ خبزنا، ونبيذنا
يعود شارلي شابلن بعصاه
يضربُ بها الشرطيَّ المتعجرفَ،
والطير صافات يحلقن في سلامٍ
ينبعثُ البخورُ بدلاً من الغازاتِ السامة
تعود الحبيبة من رحلة الهجر
ليكن موعدُنا في مدينة لاتوماتينا
نتراشق بالطماطم في ليلة الكرنفال

أسمع دقاتِ قلبك
تنطقين اسمي،
ثم يكونُ ما يكون من لذةٍ ساحرةٍ
يتدفق الصمتُ من المحيط إلى الوديان
تطرقُ روائحُ الموجِ نافذتي
حالاتٌ من الانتظاراتِ
لفرحةٍ ما
خبرٌ يأتي لا يحمل قبعة الموت
يحمل موعدَ كرنفالاتِ البهجة
قولي كلمةً تبدّدُ سطوةَ الغيابِ
تمطرُ على قلبي
موسيقى موزارت،
لنرقص رقصةَ الهولا، ورقصة كابوكي
تشاركنا عشتارُ العشاءَ، وتهدينا بعض المزامير.

أحضرتِ الكثير من اللمعانِ إلى قلبي،
لكنه اليومَ محطمٌ تماماً
كلّ ذلك يدفعني إلى شراهة التدخين، وأكل الحلوى
أشعر بالسوء؛ لأني لم أكتبْ لكِ قصيدةً كاملةً
خاليةً من حكاياتِ الحربِ، والموت
بيتٌ بلا شموعٍ لا تدخلهُ الملائكةُ
بيتٌ بلا أزهارٍ لا تصلي فيه الملائكةُ
قلبٌ لا يحفظ قصيدةً شعريةً يصبحُ خراباً
تتحجرُ الشفاهُ دون قبلاتٍ
تتعفنُ الأفواهُ إن تركتِ الغناءَ
سيقانٌ لا ترقصُ لا يمكنها الصلاةُ
يمكنني أن أصلح الصنابير التي تحدثُ ضجيجاً
قطراتُها المتواصلةُ تضربُ بقوةٍ مزعجة
سأهديك سارياً هندياً،
وتهديني ربطة عنقٍ تناسبُ بشرةَ وجهي الأسمر
سأشتري فرناً كهربائياً صديقاً للبيئةِ،
ليكن خبزنا طازجاً، ومنزلياً كخبز أمي
نأكل من سلة جدتك
الفواكه المجففة الخالية من الإضافات الغريبة
تعالي نمتطي قطارَ منتصفِ الليل

نذهبُ إلى موميباي، أو سدني،
أو أيّ مدينةٍ لا تنامُ
نمنا كثيراً
بكينا كثيراً
نصنع سريراً مدوراً من خشب الزانِ، والسنديان
تكونُ له أجنحةٌ من فروعِ شجرةِ السدرِ الجبليّ،
وتسعُ أرجلٍ من شجر البَلوطِ الساحليّ
هنالك رقصاتٌ حزينةٌ في قلوبِ القرى المدمرةِ
تنعي المآذنُ ضحايا الجوعِ، والقصف الصباحيّ
يتقن الأطفالُ الصغارُ أناشيدَ التعازي
تفضل الأمهاتُ النحيبَ الصامت
يخيم السكونُ، بعد كل جنازةٍ
تضحك الشياطينُ من بلاهة البشر الذين يكفرون بالحب
تشتعل الحروبُ، رغم قربِ نهاية كلِّ شيءٍ
يمسك شمشونُ بن منوح بعمودِ الفناء، ويصرخ:
سيسقط سقف السماء في ليلةٍ مقمرةٍ
قبلوا حبيباتكم قبل شروقِ الشمس السوداء.
تباركُ سجاحُ كلَّ العشاقِ
تتلو ما تيسر من قرآنٍ مسيلمة
تعالي نفتعل ضجةً صاخبةً، ونهربُ من هنا
لا يوجد هنا سوى الجنونِ.

فاتني القطارُ
بين السماءِ، والأرض سحبٌ معلقةٌ على شكلِ حافلاتٍ
لا أتقنُ لهجاتِ السُّحبِ الحبلى،
لكني أجيد لغة البحر بمهارةٍ
الفراغ يتراكمُ كجبلٍ قربَ الشاطىء
يعجزُ ضجيج المدِّ، والجزر عن إحراقه
يُقالُ إن أسماءَ العشاقِ المكتوبةَ على الرمالِ،
والتي تتلاشى بسرعةٍ وسهولةٍ تكون حباً ضعيفاً
أشعر بالقلق، من أجل ساراسواتي
خالقة الكلامِ والفن
أسمع موسيقاها، وعزف عودِها الساحر
تقبّلي منا القرابينَ المتواضعةَ
يقال إنها أوصتْ عبادَها العشاقَ بحكمةٍ تقول:
القلوبُ كثمارِ المانجو لا تقبل القطف بعنفٍ
لا تقبل القطف مبكراً، ولا متأخراً.
بقدمين حافيتين أحجّ إلى كل الآلهة الرحيمة
امتلأ قلبي بالغرام
أهمس لها:
صوتكِ يجعل صدري ينبض
أترنّمُ باسمكِ في محرابِ الكتابةِ

تقدّمي إلى النور، وادخلي حياتي من جديدٍ
تبتسمُ، تضحك،
تقدُّ قميصي من دبرٍ، وهي تردد:
لم تعد ذلك الرجلَ الذي كنت أعرفُه
أصبحت تتلذذُ بالقهوةِ الإيرلندية
أصبحت مهموماً وحزيناً.
قلت لها: سأعود إلى مدينة زبيد
تلك الجدرانُ الحجريةُ ما تزال تتذكّرُ صوتَ خلخالكِ الفضيّ
هي التي أخبرتني
إن العشق لا يقبل الضعفاءَ
كنهرٍ مقدسٍ تعمّده الشمسُ نهاراً
يعطّره القمر، والنجوم ليلاً
يغرقُ بوسطِه مَن يجرؤُ على تجاوزِه دونَ وضوءٍ
الوضوءُ بالكلمات، والضوء، أو بالترابِ والماء
الحربُ تستعر هناك،
تأسرُ أحلامَنا
ترسلها إلى معسكر اعتقالِ مونويتز المرعبِ
نفقد الكثير منَ الصلواتِ بسبب القصف
هل يقبل الله أن نؤجلَ صلواتِنا إلى ما بعد الحرب؟
هل يقبل الله صلاةَ أجسادٍ فقدتْ أطرافَها

ينهشها الجوعُ
يصفعها الخوفُ
ما يحدثُ هناك لا يشبه ما يحدثُ في الأفلامِ والروايات
يشبه ما يحدثُ في الجحيم
الكثير من العبث الجنونيّ
يمانيون لحظة الموتِ
أحلامنا تُساقُ الى المقاصل
يمانيون لحظة البعث، وما تزال أحلامُنا مكبّلةً
يمانيون في المهجر أحلامنا عاجزةٌ
وساعةَ الحشر
نحضرُ، نتناثر في كلّ مكانٍ
من الصعب إغلاقُ ستارةِ الكوابيسِ المخيفة
لنذهب إلى عيد ديفالي، أو خميسية الجاح
نلتحق بقافلة العشاقِ
بقافلة الحياةِ
دونَ هوياتٍ مدنية،
بأسماءٍ مستعارةٍ
يكفي أن نكون معاً.
.....

* ساراسـواتي: آلهة الكلام، والفن والجمال في الهنـد والنيبال تزوجتْ براهما أكبر، وأعظم الآلِهَة.
* معسكر اعتقال مونويتز أحدُ أبشعِ المعسكراتِ النازية المرعبة
* عيد ديفالي: أحد الأعياد الهندية في مومباي
* خميسـية الجـاح: عيـد وكرنفـال شـعبي فنـي وديني يمنـي في تهامة بمنطقـة الجـاح من نواحـي مديرية بيـت الفقيه على سـاحل البحر الأحمر المشهورة بالنخيل يتم الكرنفال بعد قطف التمور

في بعض المواسمِ
يظلّ ذيلُ الشمسِ عالقاً إلى منتصف الليل بسرّةِ السماءِ،
وفي مواسمَ أخرى تُغرقُ الظلمة وجهَ القمر
جفت بحيرةُ ساوة
حافيةٌ نخلة العراقِ
تنظر إلى السماء مرةً تلو مرةٍ
يتدفقُ الغبارُ في غياباتِ المطر
يا بائع الأحلام: لنعقد صفقةً
أريدُ فقط حلماً صغيراً
ألتقي فيه الحبيبة
ينفخُ الحدادُ في التنور؛ ليصنع منجلاً لحرثِ الأرض
يشتريه قابيلُ خفيةً؛ ليقتل أخاه
يتكاثرُ الصمتُ في قلبي كجيشٍ من الجرادِ
يسرقُ الأخضر الضوءَ،
والنباتات الصغيرة
كانتِ القصيدةُ كلمةً من فم الله
زرعها شجرةً وارفةَ الأغصان، وكثيرةَ الزهور،
ثم أوحى إلى الريح أن تداعبَها، وتراقصها برفقٍ
لكن الريحَ تمادتْ أكثر
فكان ما كانَ

تطايرتِ الأغصان والزهور، ونمتْ في قلوب العشاق
يا نافخ الحديد: تخلَّ عن صناعة السكاكين والحرابِ
اصنعْ لنا مزماراً من نحاسٍ، وفضةٍ
جفتِ الأغاني، والأهازيجُ العدنيةُ
نفتقد إلى الطين؛ ليرممَ جدرانَ حضرموت
وأشرعة من قطنٍ، ورايات من حريرٍ
عطش للفرحِ، وطبول الأعراس
عطش لعناقاتِ التلاقي
لطفلٍ يذهب إلى مدرسته، ويعودُ في سلامٍ
يعودُ لبيته
يحلُّ واجباتِه المنزليةَ،
ويتناول الحلوى، وعلى وجهه فرحٌ
يا نافخَ الزجاجِ: اصنعْ لنا فانوساً، وشبابيكَ ملونةً
يا نافخ الريح .. مطر مطر على التهايم
تمطر على قلبي؛ كي أكونَ شاعراً.

في الشوارعِ الخلفية المعجونةِ بالصمت
المفروشةِ بالفراغِ، ورذاذِ المطر
يلتقي فيها العشاقُ من نوعٍ آخرَ
بعيداً عنِ الرقباءِ، والتنمر
يمارسونَ بعضَ المداعباتِ المحذورةِ في الشوارع المكتظة
وبعض المهمومين بغلاءِ المعيشة، وفقدانِ الوظائفِ
يسيرون بغيرِ خارطةٍ، كأنهم يصطادون الأملَ،
والقليل منَ الشعراءِ أمثالي
يسترقون هذيانَ الأوراقِ، قبل سقوطها من أمِّها الشجرةِ
أتحاشى أن أدوسَ الأغصانَ المغامرةَ
التي تقفز، أو يصفعها الصقيعُ، فتسقط
ربما تأتي فتاةٌ تلاعبُ كلبها
ترمي له بالغصن، فيركض فرحاً،
أو يجمعها أحدُ النحاتين؛ ليشكّل منها لوحةً،
أو يكون مصيرها الفناءَ، بسبب عواملِ التعريةِ
تنهض الذكرياتُ من زوايا القلبِ، والفكر
تشتعل القصيدةُ، ترقصُ على مزمارِ أورفيوس
أسمعُ تراتيلَ من كتبِ الفيدا الأربعةِ،
ودعاءَ امرأةٍ حبلى
تحملُ بيدها اليسرى حلوى بيضاءَ لبقرةٍ سوداءَ

تتمنّى أن يكونَ الحملُ في بطنها ذكراً
تناجي شيفا، وراما بخشوعٍ وإيمانٍ
تشتعل الاشتياقاتُ
لا نعلمُ ماذا سيتحقق منَ الأماني؟
بين حيس والجراحي أفواهُ الأطفالِ تنظر إلى الأعلى
السماءُ لا تمطر خبزاً، ولا حتى مطراً
سبع سنبلاتٍ يابساتٍ، وأخر يابسات
الحربُ في عامِها الثامنِ تبدو أكثر توحشاً،
والموتُ تزداد شراهته،
يعدلُ في العبادِ
الأكواخُ منَ القصب، والزنك ليست آمنةً،
وبيوتُ الحجر، والطين، والجوعِ
لا تقي من حريقٍ، ولا دخانٍ
بعضُ أصدقائي الذين أعرفُهم احترقوا في ليالٍ مقمرةٍ
والنجوم يشاهدون حفلاتٍ للعراةِ على ضفافِ نهرِ السن
بعض أصدقائي دُفنوا تحت ركامِ المساجدِ، والمسارح
احترقَ بعضُهم، كما احترقتْ مقاماتُ الأولياءِ، والمقابر
كأنما السماء لا تشبعُ منَ القرابينِ،
لا تملّ من التقديسِ،
لكنها لا تحرّكُ ساكناً

لم ينشقِّ القمرُ لموتنا المُخيفِ
ولم يحضرِ البراقُ؛ لنقلنا لمدينة سلام
قالتِ العجائز: أولادُنا، وبناتُنا صاروا حماماتٍ سماويةً
حلّقتِ الحمائمُ، فلم تجدْ فرعَ شجرةٍ صلباً
لم تجدْ قوتَها اليوميّ،
ولا غديراً تستريحُ قربَه،
مرّتْ بحقل شعيرٍ
هشّها المزارعُ وزوجته، وأطفالُه، وجيرانه
عندما كرّرتِ المحاولةَ نصبوا لها فخاخاً بدائيةً،
ثمّ طبخوها لعشاءِ ليلةِ القدرِ،
قبل أن يصيح ديكُ الصباحِ
في موسم تزاوجِ الثعابين والسحالي
فقستْ بيضةُ عصفورِ الكناري
احتضنتِ الأمُّ وليدَها، وبدأت تُعلّمُه الزقزقةَ عند الخطر
طوتْ أحزانَها؛ لفقدان رفيقها، والبيضة الثانية
عشّشت قربَ كهفٍ جبليٍّ
يراودُها الأملُ أن تكونَ آيةً جديدةً من آياتِ الله.
.....

* أورفيوس/ شاعر وموسيقي أسطوري إغريقي
* كتب فيدا الأربعة/ كتب دينية هندوسية مقدسة
* شيفا وراما من الآلهة الهندوسية
* الحيس والجراحي من مدن تهامة محافظة الحديدة اليمنية ما تزال تشهد عنفاً ضروساً ودمرتِ الكثير منها وقراها

أسمعُ بين الأغصانِ المتعانقةِ تسابيحَ، وغناءً
تعزفُ الريحُ على بيانو قديمٍ
في الليالي البيضاءِ والفضية
يخلعُ القمرُ أقنعةَ السوادِ
يُصوّرُ أشجارَ العنبِ، والتوتِ
ينتظر موسمَ النضوجِ،
وكأساً منَ النبيذ الخالي من أيّ مادةٍ مضافةٍ
يعشق الأحمرَ المُسْكرَ
قلبي كتفاحةٍ لم تنضجْ بعدُ
تنتظرُ المطرَ اللطيف..
في انتظارِ شمسٍ تتباهى بمفاتنها
تشرقُ من غيرِ غرورٍ، ولا قسوةٍ
تكشفُ شعرَها، ووجهها، وأجزاءً من صدرِها
عندما تكونين حزينةً تبدو الأزقةُ مكفهرةً
صمتٌ باردٌ لا يغري العصافيرَ على أيّ فعلٍ
أيّ طبيعةٍ يمكن تصويرُها، عندما تخافُ العصافيرُ
كان بيكاسو مجنوناً في كل رسوماته
كان طفلاً،
لم يكترثْ للرواياتِ الدينية، وصلواتِ الخوفِ
للجحيم سبعةُ أبوابٍ، ومنها مدخلٌ خاصٌ للفنانين

للذين يفكرون
للذين يرفضون،
وللجنة بابٌ خاصٌ للمساكينِ، والفقراءِ المعدمين
للذين يقولون نعم لكلّ قدَرٍ،
لكلّ حاكمٍ، وأميرٍ
أما الذين يموتون، بسبب الحربِ ينتظرون لسنواتٍ
ينتظرون شهادةَ الشهودِ، وإفادةَ ملاكِ الموتِ
وتقاريرَ المنظماتِ الدولية
كلُّ ذلك يأخذ وقتاً كبيراً، لكن عليهم أن يصبروا
عندما أضعُ المكعباتِ الصغيرةَ لطفلتي
تبني قلعةً، وتحتمي فيها
تدعو العائلةَ للدخولِ معها؛
لأن المكانَ لا يتّسعُ لنا جميعاً
ترسمُنا جميعاً؛ لنكونَ في سلامٍ
الأمهاتُ في حالة الحدادِ لا يضعنَ نقشَ الحنّاءِ للعيد
الأمهاتُ الصغيراتُ الجديداتُ يبقينَ في حالةِ صدمةٍ
لا يعرفنَ ماذا يفعلن؟
لا يصدقنَ أن الموتَ سلبهنّ أطفالهنّ
لا يعرفن ما يفعلن عند لحظة الوداعِ
يُمنعْنَ منَ الذهابِ إلى المقابرِ

عليهنّ تعلّمُ عاداتِ محافلِ العزاءِ
يصبحن نحيفاتٍ كسنبلاتٍ يابساتٍ
خفيفات كالفراشاتِ
عاجزات عنِ التحليق
بعد طيّ مفارشِ العزاءِ عليهنّ العودةُ كفتياتٍ جميلاتٍ
فتياتٍ مغرياتٍ
قابلاتٍ للمضاجعة، والحمل من جديدٍ
ينسى الرجالُ بسرعةٍ ما حدثَ
كلّ الأشياءِ قابلةٌ للانهيارات، والموتِ والسقوط
الكلماتُ والعباراتُ أيضاً يمكن أن تسقط
بحسب قوانين الجاذبية والكتل، كما سقطت تفاحةُ نيوتن
أو بفعل فاعلٍ،
كتفاحةِ حواء
الثمارُ المتساقطة في الصيف قد تتعفّن
قد لا تجدُ مَن يجمعها،
لكن بعضها يصبح أشجاراً على قوارعِ الطريقِ
تلعثمتُم كثيراً في آخر لقاءٍ بيننا
عجزتُ أن أجمع كلماتي منَ القلب في شكل قصيدةٍ
سمع بين الأغصانِ المتعانقة تسابيحَ، وغناءً
تعزفُ الريحُ على بيانو قديم

في الليالي البيضاءِ، والفضية
يخلعُ القمرُ أقنعةَ السواد
يصور أشجارَ العنب، والتوت
ينتظر موسمَ النضوجِ،
وكأساً منَ النبيذ الخالي من أيّ مادةٍ مضافةٍ
يعشق الأحمرَ المسكر
قلبي كتفاحةٍ لم تنضجْ بعدُ
تنتظر المطرَ اللطيف
في انتظار شمسٍ تتباهى بمفاتنها
تشرق من غير غرورٍ، ولا قسوة
تكشف شعرها، ووجهها، وأجزاءً من صدرها
عندما تكونين حزينةً تبدو الأزقة مكفهرةً
صمتٌ باردٌ لا يُغري العصافير على أيّ فعلٍ
أيّ طبيعةٍ يمكن تصويرها، عندما تخافُ العصافيرُ
كان بيكاسو مجنوناً في كل رسوماته
كان طفلاً،
لم يكترثْ للرواياتِ الدينية، وصلواتِ الخوفِ
للجحيم سبعةُ أبوابٍ، ومنها مدخلٌ خاصٌ للفنانين
للذين يفكرون
للذين يرفضون،

وللجنة بابٌ خاصٌ للمساكينِ، والفقراءِ المعدمين
للذين يقولون نعم لكلّ قدَرٍ،
لكلّ حاكمٍ وأميرٍ
أما الذين يموتون، بسبب الحربِ ينتظرون لسنواتٍ
ينتظرون شهادةَ الشهودِ، وإفادةَ ملاكِ الموت
وتقاريرَ المنظماتِ الدولية
كلُّ ذلك يأخذ وقتاً كبيراً، لكن عليهم أن يصبروا
عندما أضع المكعباتِ الصغيرةَ لطفلتي
تبني قلعةً، وتحتمي فيها
تدعو العائلةَ للدخول معها؛
لأن المكانَ لا يتّسع لنا جميعاً
ترسمنا جميعاً؛ لنكونَ في سلامٍ
الأمهاتُ في حالة الحدادِ لا يضعنَ نقشَ الحناءِ للعيد
الأمهاتُ الصغيراتُ الجديداتُ يبقينَ في حالة صدمةٍ
لا يعرفنَ ماذا يفعلن؟
لا يصدقنَ أن الموتَ سلبهنّ أطفالهنّ
لا يعرفنَ ما يفعلنَ عند لحظة الوداعِ
يُمنعنَ منَ الذهابِ إلى المقابرِ
عليهنّ تعلّمُ عاداتِ محافلِ العزاءِ
يصبحن نحيفاتٍ كسنبلاتٍ يابساتٍ

خفيفات كالفراشات
عاجزات عنِ التحليق
بعد طيّ مفارشِ العزاءِ عليهنّ العودةُ كفتياتٍ جميلاتٍ
فتياتٍ مغرياتٍ
قابلاتٍ للمضاجعة، والحمل من جديدٍ
ينسى الرجالُ بسرعةٍ ما حدث
كل الأشياءِ قابلةٌ للانهياراتِ، والموتِ، والسقوط
الكلماتُ، والعباراتُ أيضاً يمكن أن تسقط
بحسب قوانين الجاذبية والكتل، كما سقطت تفاحةُ نيوتن،
أو بفعل فاعلٍ،
كتفاحةِ حواء
الثمارُ المتساقطة في الصيف قد تتعفّن
قد لا تجدُ مَن يجمعها،
لكن بعضها يصبح أشجاراً على قوارع الطريقِ
تلعثمتُم كثيراً في آخر لقاءٍ بيننا
عجزت أن أجمع كلماتي منَ القلب في شكل قصيدةٍ.

سيظل قلبي زهرةً، رغم هجرِ العشيقة
ينهمرُ المطرُ مالحاً على جروحِ الماضي
تبدين مبتسمةً في أحلامِ يقظتي
مع أولِ فنجانِ قهوةٍ تلوّحين من بعيدٍ،
ثم سكون كتلك الشمسِ التي تلتحفُ الغيابَ
وحدَها السُّحبُ الداكنةُ تنشط
تتحركُ بخفةٍ وترقصُ،
لكن لا أحد يمكنه تصويرُ ما تفعل
رؤية غامضة
مدينة تهوى التخفّي، وتتقنه
سأكونُ عند الظهيرةِ أمام الحانةِ
ما تزالُ الأبوابُ مغلقةً
سأعرّجُ إلى ضفة النهر
الماءُ والرصيف، وكلّ شيءٍ باردٌ
كلّ ما يحيط بي مبتلٌّ
أعودُ إلى الحانة
لن أطلبَ مكعباتِ الثلج لكأسِ الويسكي
لن أُتعبَ النادلةَ الجميلة،
أكتفي منها بابتسامةٍ،
وقد أكون محظوظاً بملامسةٍ غيرِ مقصودةٍ

تنبتُ الزهراتُ في قلبي مجدداً
مع كلّ قصيدةٍ جديدة.

البحرُ لا يعرفُ البكاءَ؛
لأنه كثيرُ القهقهة، والغضب أيضاً
كثيرةٌ هي آلهةُ البحرِ، لكنه يتمرّدُ عليهنّ بقسوةٍ
ينحتُ بموجِه في اليابسةِ،
يلتهمُ الترابَ
يرسمُ أساطيرَه على الصخورِ الصلبة
أركبُ في الحافلة منَ الحديدة إلى صنعاء
لستِ ساعاتٍ أبحرُ في شرايين الأرضِ، والجبالِ، والسمواتِ
يرتفعُ سقفُ أحلامي إلى الأعلى
الأحلامُ كالزجاجِ الرقيق الملوّنِ،
عندما تنكسر تتبعثر
تتناثرُ، وتصيب العينين
أحتفظ بها في أجفاني
أنصتُ لهمساتِ زرادشت:
خلقنا لنعيش، لا أن نموتَ بجسدٍ يتنفس
ندخلُ في بحرٍ منَ الضبابِ
تفقدتُ نبضي، والكرسيّ الذي أجلس عليه

لم أجدْ نفسي، ولا أيّ شيءٍ، ولا صوتَ دقاتِ صدري
أتركُ العنانَ لموجِ
فوضويٍّ منَ الأمنيات
أرى أحجاراً ضخمةً بلونِ الدمِ، أو النبيذ
وسفينة نوح أصابتها عواملُ التعريةِ
لم تعدْ آيةَ الله، ولا معجزةً مثيرةً
الأطفالُ هجروا الجداتِ، ومسامراتِ الحكايةِ
التلفازُ يعرضُ معجزاتٍ أكثر تشويقاً وعنفاً
يختلط فيها الضحك بالدهشة، وتصبح ألعابَ فيديو
الحربُ أكثر إبداعاً في الوحشية، والألم والإثارة
كلّ دقيقةٍ تُولَدُ حكايةٌ، وطفلٌ يسلّم روحَه
ثم يذهبُ طواعيةً إلى ظلمة القبر
يفرحُ الدودُ بالوليمةِ الجديدةِ
الأطفالُ الذين يُولدون لا يصرخون
يتحسسون ضروعَ الأمهاتِ
كلّ شيءٍ يابسٌ، حتى الندى الصباحيّ يجفُّ بعد ثانيةٍ واحدةٍ
يحدقون في السماءِ الأولى
لكن الربَّ في السماءِ السابعةِ
يرسلون له رسالةً بلغة الأطفالِ البليغة
ما زلت في الحافلة

نمرّ على قرىً صامتةٍ،
كأنها في رحمِ العدم
النساءُ يبكينَ رجالَهنّ
غادرَ الجميع، منذ فارَ تنورُ الحربِ
قومُنا القدامى
كانوا يحاربون، ثم يعودون إلى النساءِ
يعودون بقصصٍ وحكاياتٍ، وهدايا ثمينةٍ
يعودون لحرثِ الأرحامِ، وحصادِ الشعيرِ، والذرةِ
ثمّ يعلقون أمنياتِهم على أغصان شجرةٍ مقدسةٍ
ويغادرون!
اختلفتْ قواعدُ اللعبة
لم تعدِ الحربُ حكاياتٍ وغنيمةً، ولا موتاً شنيعاً
الحربُ خدعتِ الآلهةَ، والشعراءَ، ومبدعي الروايةِ
في خصرِها فحيحُ الأفاعي السامةِ
ترسلُ الجرذانَ القذرةَ النهمة للدمِ،
ورذاذاتُ الجحيم تبتلع ماءَ الوديانِ، والآبارِ، والبحر
تهدي البعوضَ دمَ البشرِ، والدوابِ، والطيور
نتجاوزُ مدينة مناخة، أي نصف الطريق
ما تزال صنعاءُ بعيدةً
أغمض عينيّ

لا أمتلك أيّ شيءٍ منَ الأدواتِ الحادةِ
كي أشقَّ بطن الضبابِ، أو حتى مثانتَه
هذه الجبالُ لم تذقْ طعمَ الثلج، ولم تلبسْ حلّةَ الجليد،
لكنها باردةٌ كجدارِ الزمهريرِ،
والأشجارُ القليلة الباقية تتفحّمُ
أدخنةٌ غريبةٌ بكلّ الألوانِ المخيفة تعطسُها السماءُ
والأرضُ تسعلُ الغبارَ
لم يكن هنا نهرٌ،
لكن كانت هنا جداولُ،
أزهارٌ، وأغانٍ
وحكاياتُ عشق .

يُقالُ إن القمر مخلوقٌ من عجين المرايا والرخامِ،
ومن بقايا عظامِ الريحِ القديمةِ
ومنَ العقيق اليمانيّ
جمعَها الله في قبضة يدِه، ثم رماها كُرَةً فضيةً تلمع
يقالُ إن الشمسَ تمنّتْ ألّا تكونَ نجماً يلتهب قلبُها
أتعبها العطشُ والسعالُ، والأمراضُ الصدرية
أذهب إلى المرفأ، أبحث عن ألوانٍ متشبعةٍ بالسحر
ونسيم يداعبُ شعرَ الحسناواتِ،

وكلمات مجانينَ أتعبهم العقلُ، والمنطق، وقوانين المدن
ينسجُ البردُ الرقيق خيمةً ضخمةً في المكان
في بلادي كان الماءُ يصبُّ من صنابير البيوتِ،
وكان بائعُ الغازِ يدقّ ألحانَه المجانية، وأغانيه المرتجلةَ
يتجوّلُ في الأزقة والدروبِ، ويقدمُ خدماتِه بتواضعٍ
تفتح النساءُ أبوابهنّ لبائعاتِ الطيب، والبخورِ، والرّيحان
لليلة الخميس طقوسُها الخاصة،
ونحن الرجالَ نشتري اللحم، ومرقَ الديوكِ
تنضج الرغبةُ لليلٍ حنونٍ،
بعد ذلك
تغيرتِ النهاراتُ، وعاداتُ الليالي
بلا خميسٍ، ولا جمعاتٍ مباركاتٍ
ها هي العتمة تصفعُ كلّ الأماكنِ، والقلوبِ
الياسمين لا يفتح عيونَه في ليالي الخوفِ المظلمة
يتبخر الغيم، أو يمطرُ في بلدانٍ أخرى
وعطرُ الزهورِ يهاجرُ أيضاً،
وصفيرُ الجوعِ المزعج يدخلُ كلَّ بيتٍ
أنا هنا جامدٌ بدونِ حركةٍ
نسيتُ حلمَ البارحة؛ لأني نمتُ على أريكة الصالونِ
كانتِ النافذةُ مفتوحةً، ربما تسلّلَ خلسةً

هناك تتجوّلُ شاحناتٌ مكشوفةٌ
تحمل الجثثَ الدامية توزّعُها على المدنِ والقرى
ساحاتُ اللعب أضحت قبوراً لا علامات عليها
قلتُ للشاعر توماس ترانسترومر
قمْ برحلةٍ قصيرةٍ لتلك البلادِ
اكتبْ عن وجعِ الأماكنِ التي ضاعَ حلمُها
الحقيقة هناك،
والموتُ هناك
هنا أسير بخطواتٍ ثقيلةٍ، كقلبي يتوقُ للمسراتِ
أبحثُ في ذكرياتي، قبل أن تندثرَ
أنا والحبيبة مررنا هنا
تعانقنا، كما ينبغي للعشاقِ فعلُه
سأعودُ وحيداً، بلا يدٍ ناعمةٍ
أنتظر الغروبَ من نافذتي
أن تنبتَ القصيدة شابةً، ومكتملة
يكون لها معنىً أفهمه، وتفهمه الأرضُ، والحبيبة.

.....

توماســ ترانسترومر شاعر سويدي، وقد حصل على نوبل للأدب في عام 2011

إننا في نهاية شهر أبريل، وما تزالُ سياطُ البرد قاسية
تصفرُ كما يحلو لها،
وترسلُ الصقيع يزلزلُ الأشجارَ الحالمة بالألوان البهيجة،
وتُفسد عناقاتٍ منتظرة
في حديقة لوكسمبورج التقيت (ميديا)
أعياها المشيُ
تبحث عن ظلٍّ، وبعضِ الدفءِ
عن مكانٍ ترى فيه بوضوحٍ آلهتَها الشمس
ما يزال أثرُ رمادِ الحريق على وجهها
بين أصابعها قطراتٌ منَ الماءِ الذي غسلتْ به أطفالَها
طهّرتهم بالماءِ، والطين، والثلج
صلّتْ عليهم صلاةَ مودعٍ،
ثمّ أحرقتْهم
لا أدري كيف أواسيها؟
قربَ المقعد الذي جلستْ عليه
ثلاثةُ غربانٍ تحلّق، ثم تهبط
على رأس تمثالِ أورفيوس الصامتِ
كانت تُحدقُ في حركة الغربانِ، وفي مباني المتاحفِ
لعلها تبحث عن جرة الخزوفِ المقدسة
سألتني: من أيّ بلادٍ أنت؟

قلت لها: أنا أيضاً من أرضٍ بعيدةٍ
أرضي ابتعدتْ عنِ الأزمنةِ والأمكنة
وابتعد عنها الفرحُ
أنا البعيد عن زهراتِ البنّ
يتألقنَ، ويتمايلنَ كراقصاتِ بوليوود البديعاتِ،
ويفوحُ عطرُهنّ قبل القطف
أنا من بلادٍ تُسمى تهامة
تفتقد الضحكاتِ منذ افترسها الجوعُ،
وهي اليومَ غارقةٌ في البؤس
تغتالها الكوابيسُ الشريرةُ
سألتني عن نافورة سان ميشيل، وطلبت خارطةً، ومظلة
أهديتها وشاحاً، وكتيباً سياحياً لباريس
دونَ كلمة وداعٍ تركتني، واختفت
بقيتُ متجمداً بمكاني للحظاتٍ
اقتربتْ مني بائعة هوى،
طلبت سيجارةً، ومنديلاً ورقياً؛ لتزيلَ نقطةً على صدرها،
ثم بدأت تعرضُ خدماتِها، وتثرثر
عن باريس، والليل الذي لا ينامُ
والرجالِ الشهوانيين،
عن أنواعِ الواقياتِ الجنسية، والمراهمِ المطيلة للقذف،

عن قسوةِ الشوارع، وصعوبةِ اللغة، وفقدانِ الحلم
قلت لها:
كان لي حبيبةٌ ووطنٌ
أكل الحزنُ نصف قلبي،
ونصفُه الآخرُ ربما تعفّنَ بعضُه؛ بسبب التدخين
اعتذرتُ عن عقد أيّ صفقةٍ معها، وانصرفت
رأيتها تحيكُ عقداً منَ الورودِ الممنوع لمسُها
أما أنا، فابتلعتني الأزقةُ الصغيرةُ الفرعية
بجناحين يخفقُ قلبي، ويُحلّقُ
يريد العودةَ إلى الماضي
لحبيبتي،
أو إلى قريتي
أعودُ طفلاً.

أريدُكِ معي إلى الأبد
نمارسُ الطقوسَ الليلية بالشمع، والبخورِ، والقبلاتِ
كلَّ ليلةٍ نكتشف أشياءَ جديدةً في لذةِ العناقِ
أرفعُ خصلاتِ شعرِكِ المُتدلّي على وجهكِ
تخلعين كلَّ ثيابي بمهارةٍ، وخفة
أرى (وو وين جيان) يهتف لي:

القصيدةُ كائنٌ حيٌّ مثلنا.
أنا أشعرُ بالنشوة عند إكمالِ قصيدةٍ،
كفرحة قيادةِ سيارةٍ جديدةٍ
الكلماتُ أشبهُ بمسدسٍ ذي نظامٍ مزدوجٍ
الإيغالُ في القصيدةِ مخاطرةٌ
الكلمة الأولى، العبارةُ الأولى
كأننا ندهسُ قطّةً سوداءَ، ونحن ماضون لدخولِ الغابة
حوادثُ شؤمٍ قد تصادفُنا

الحكمة الهندية تقول:
توخَّ الحذرَ، والسير أينما تجدُ قدمَ نمرٍ
لا شيءَ في هذا العالمِ أصبح سهلاً
تكتب الشاعرةُ دورين سعد
(بعض اللحظات لا تموث)
كأنها تُشعل مصابيحَ؛ لنرى عالمنا
الموتُ الذي يهزمُ الحياةَ
الحياةُ التي قد تصارع الموتَ
الموتُ الذي في كلِّ مكانٍ
الموتُ البطل المُتخفّي،
حتى طريق العشق قد يقودُنا إليه

في بلادِ الحروبِ يموتُ الناسُ منَ الجوعِ،
وفي البلادِ الغنية يموتون منَ الشبع المُفرِطِ.
لم أتعاطَ الكيتامين
لا أظنُّ سأفعلها
في الكتابة أخطرُ منه
يبدو أن الأحياءَ متعبون،
بينما تعودُ الأحلامُ بحيويةٍ إلى الموتى
ثمّةَ ضجيجٌ في الأسفل لا يسمعُه حرّاسُ القبورِ
في المدنِ المزدحمة يزيد وزنُ الهواءِ، ويثقل
هنالك مشاريعُ؛ لبيعه مُعلّباً بتخفيضاتٍ ضريبية
يباعُ مع ميزانٍ دقيقٍ، وحساسٍ، وشوكةٍ، وسكينٍ،
ليكونَ على موائدنا
في المناسباتِ الوطنية، والدينية
أولئك الذين لا يؤمنون بدينٍ
عليهم البحثُ عنه في السوقِ السوداءِ،
أما الذين ليس لهم وطنٌ،
أو المُبعَدون عنه،
أو الذين هجرتهم حبيباتُهم
فعليهم مغادرةُ الحياةِ فوراً.
....

وو وين جيان/ شاعر صيني
دورين سعد/ شاعرة وناقدة لبنانية
الكيتامين / مادة مخدرة

ما بعد الظهيرةِ باردٌ أيضاً
لفحاتٌ تجعلُكَ ترتعشُ
لا تراقصات للنسيم في ساحاتِ الحدائق
تُزمجرُ النوارسُ، رغم أن البحرَ يبعدُ عدةَ كيلو مترات،
كأنها تُحذّرُنا من شيءٍ ما سيحدث،
أو أشياءَ تحدثُ الآنَ،
أو هي غاضبةٌ بسبب ارتفاعِ نِسَبِ التلوثِ
من عاداتها أن تهبط قرب النوافير
وقد يتمادى الذكورُ؛ لنيل مداعباتٍ عابرةٍ،
وملامساتٍ خفيفة،
وأنا أسيرُ في نفسِ الأزقةِ
مع نفس الظلالِ التي قد تختفي في لحظةٍ!
مرتْ سنواتٌ طوالُ
لم نلتقِ،
لم ينطقْ أحدٌ منا بكلمةٍ للآخرِ،
وهناك جبالٌ صامدةٌ

نحتَ الزمانُ على صدورِها رواياتٍ وأساطيرَ،
ووجوه آلهةٍ تشاهدُ ما يحدثُ
تبتسم،
لكنها لا تفعلُ شيئاً
للموتِ كهفُه الخاصُّ
يضعُ فيه دفاترَه، وأدواتِه القاسيةَ
أصبح الأطفالُ يتقنون صلاةَ الجنازةِ
يمارسون عاداتٍ لم يكونوا يأبهون بها قبلُ!
قبلَ الحربِ كان اللعبُ مباحاً،
والضحك مباحاً،
والعشق للبالغين مباحاً
قبل الغروبِ أتأملُ وجهي
قرب بحيرةٍ راكدةٍ
تأتي الريحُ تكسر المرآةَ
تقذفُ بغصنٍ يابسٍ
تتبعثر شظايا وجهي
يهربُ البطُّ البريُّ
يصفر القطارُ
يعلو ضجيج ركضاته
السكونُ المرعبُ ليس في غيابِ الضجيج

السكونُ في داخلي
يصدأ قلبي
ما أحتاجُه شروقاً
رومانسياً معَ الحبيبة
لياليَ عنيفةَ اللذاتِ،
وسلاماً يرفرفُ في بلداننا المنكوبةِ
يقول صديقي صبري يوسف:
نريد سلاماً كونياً، وعدالةً إنسانية
أصفق له، وأقول:
ليت الشمسَ ترقصُ معَ الكواكبِ المستكشفة حديثاً
ترسلُ الأضواء بلونِ الورودِ، والزهور
ويعودُ قوس قزح، والمطر

.....

صبري يوسف/ شاعر وأديب سوري مقيم في السويد
رئيس مجلة، وقناة السلام الدولية

لا أدري هل نسكن في المدينة ذاتِها معاً؟
أو تعيشين في مدينةٍ مجاورةٍ، أو بعيدةٍ
لا أقدرُ على رؤيتك،
أو إن بيننا أميالاً طويلةً لا يصلُها القطارُ
في انتظاراتي لك
أدعُ النوافذَ، وفتحاتِ التهويةِ مفتوحةً،
وسقفَ قلبي مفتوحاً أيضاً
لم أغلقْ بابَ صدري بالمزلاجِ، والأقفالِ
أحلمُ أن ألمحَ ظلَّكِ
كنا بعيدين عنِ الضجيج
عنِ العالمِ المزعجِ، بأخبارِ الأزماتِ
لم يكن أحَدٌ يعرفُ قصّتَنا،
ثم شاعتْ حكايتُنا قليلاً
ليتنا بقينا منعزلين بعيداً
في بيتنا المتواضعِ
الخالي منَ الزينةِ، والبهرجةِ
فقط بعض النباتاتِ الصغيرةِ، والعطرة
كنا أنا، وأنتِ فقط
نستمتعُ بالقمر، والنجومِ، ولمعانِ المطر
في الصباح الباكر تمنحينني الندى المُسْكرَ، والقبلاتِ

أمنحُكِ اللذةَ إلى سدرةِ منتهى النشوةِ
وأنتِ كذلك منحتني أشياءَ كثيرةً بحبٍّ وكرمٍ.

كنتُ قربَ الشاطىء،
والموجُ يغترفُ منَ الترابِ، ويُلقمُ الريحَ في فمِه
تهضمُ الريحُ بعضَه، وتقذفُ البقية في وجهِ المدنِ الشاحبةِ
كانتْ سماءُ العالم سوداءَ قاتمةً،
والمطر قطران دمامِلِ الكونِ
هكذا يرى فلاديمير هولان
الموتُ ليس في الموسيقى، ولا الصمت
«وبيكاسو، وهو يصنعُ رجلَ الثلج
فهم جيداً
إن خلودَ الفنِّ هو في الزمن،والخطيئة والمنفى»
أما أنا يومَ كنت عاشقاً لم أشعرْ بالغربة، ولا الذنب
كلما حلمت بها أنسى العزلةَ والصمت
وفي ظلمة صالة السينما أشعر بخفةٍ، ولهفةٍ للقياها
شوق إلى الأماكنِ المفتوحةِ الواسعة كالبحر
لم أفرضْ عليك مشاركتي فواتيري
لكننا كنا نتشاركُ كلمةَ سرِّ الواي ـ فاي
نتشاركُ النكاتِ اللطيفة، والماجنة، والأماني

لم يعدْ قلبي يحتملُ أكثرَ،
أما اللقاء
أو زراعة قلبٍ آخرَ لم يعرفْك، ولم يسمعْ عنك.
.....

فلادميرهـولان/ شـاعر تشـيكي، ترجم له الشـاعر الراحل سـعدي يوسف بعض النصوص وترجمت نصوصه إلى الفرنسية، وعدة لغات

في الحيّ اللاتينيّ، وأنا في مطعم البيتزا
كانت موسيقى الجاز الناعمة
أحسستُ أن لي حياتين اثنتين،
وأن شخصاً ما يبعثُ لي رسائلَ أعجزُعن فكِّ شفراتها
ربما من الحبيبة البعيدةِ،
ربما هي من أبي
ماتَ العامَ الماضي
ظلَّ يهاتفُني كثيراً
يضحكُ، ويغسلُ وجهه في النهرِ الفردوسيِّ، قبل كلِّ صلاةٍ.
بعدَها دخلتُ حانةً،
وسمعت إحدى أغاني كارلوس فيفس
كانتْ أغنيةً مليئةً بالحيوية، والأمل.
الحياةُ جنونيةٌ
شيءٌ خاطىءٌ في الحياة،
وربما أيضاً أشياءُ خاطئةٌ يرتكبُها الموتُ
هكذا قرأتُ في كتابٍ ما لا أتذكره
يتقدمُ بي العمرُ
لست كالهيدرا،
ولا أحد منا يمتلك قُدرةَ التجدّدِ
كانَ الخلودُ، وسيظلُّ حلماً جنونياً،

عندما نتعمّقُ في الأربعينات
يبدأُ الخوفُ
منَ التقدّمِ أكثر في السّنِّ
الخوفُ من
تراجعِ الحلمِ،
منَ الوهنِ
من عقد صفقة مع الشيطان.
قاد الحرسُ صديقي عدنان الصائغ إلى هولاكو المغرور
بتهمة عدمِ المدحِ
قال صديقي إنه يكتبُ قصيدةَ النثر
هوى السياف، فقطع رأسَه
تدحرجَ، انفتحتِ النوافذ والأبوابُ
حدثتْ ضجةٌ كبيرةٌ
ظلَّ الرأسُ يتدحرجُ بين السهولِ والهضاب
إلى أن أمسكَه نحاتٌ ماهرٌ
بالطين والياجور، وأوراق، والقليل من دمِ التنين
صار صديقي شجرةً مثمرة.

.....

#كارلوس_فيفس مغنٍّ وفنان كولمبي

الهيدرا كائنٌ عجيبٌ صغيرٌ يعيش في المياه العذبة له قدرة على التجدد البيولوجي

عدنان_الصائغ شاعر عراقي بديع له قصيدة أنا وهولاكو تحفة شعرية ساحرة

دم_التنين أو الإبدع. سائل أحمر من # شجرة_دم_الأخوين

اللوحة إحدى أعمالي، وأول لوحة بعتها لمشاهدتها بوضوح يمكن الضغط على الصورة جميع اللوحات المرفقة بالنصوص من رسمي، ولا تعني مرافقة النص للوحة تفسيراً لأيّ واحد منها.

وحيداً، أبتعدُ عن نفسي
أُغلقُ الهاتفَ، ليس لي هدفٌ، وأنا أنتظر الحافلةَ،
مع اقترابِ شهرِ مايو
منَ المفروضِ أن تبدأ كرنفالاتُ الغناءِ، وأهازيج الحصاد
وأن يلتقيَ الشرقُ والغربُ
يتلاحمُ الشمالُ معَ الجنوبِ، وتنكسرُ الحدودُ
يكونُ الشاطئُ مُنتشياً
يفتحُ البحرُ أحضانه،
والجبل يُدلي بسيقانه المدرجة لهواةِ التسلّقِ
لمحبي الهواءِ النقيِّ في الأعلى
ألم يئنْ للربيع أن يعزفَ على مزماميره العطرةِ؛
ليرقصَ هذا الكونُ الحزينُ
أسألها: أين ستكونين هذا الصيف؟
لم نلتقطِ الكثير منَ الصورِ الفوتغرافية
كنا نخافُ الأسئلة عن علاقتنا معاً
الشعرُ، والحبُّ يُكتبان في قصاصاتٍ؛ لتطير
لتحلّقَ بعيداً في الأعالي،
أو يكونان قواربَ ورقيةً تسبحُ إلى جزيرةِ حلمٍ،
أو يكونان أغاني بهيجةً.
أفكر في وطني المُبتلى بالخرابِ،

حيثُ الهواءُ داكنٌ،
والدموعُ تسقط داكنةً
الصيفُ يشبهُ الشتاءَ
الربيعُ فارقَنا، منذ ثماني سنواتٍ
الغبارُ، والدخانُ يفرشان مظلة الظلمة
لذلك اختلفَ مذاقُ كلِّ الثمارِ
تأجلتْ مواسمُ الفرحِ
لحين دفنِ كلِّ الموتى
الأحياء يدفنُهم الترابُ الجاف
الرؤية مشوهةٌ،
والخريفُ يمسكُ بوقَه الضخمَ،
يعلن كلَّ صباحٍ موعدَ يومِ القيامةِ
لكنها لا تأتي.
تتشابكُ أصابعُك، وأصابعي
بوسعِهم خلعُ كلِّ ملابسنا،
والسباحة عراةً في زرقة حلمٍ رومانسيٍّ،
أو كتابة قصيدةٍ مشتركةٍ،
قصيدة
ترفضُ الحربَ، وتُمزّقُ راياتِ العنصرية
تنعي الموتى المظلومين

تبحث عنهم في الأشياءِ البسيطة التى تركوها
تُعيد كتابةَ قصصِ الغرام التي لم ينتبهْ إليها أحدٌ،
أو حتى تغريدة عابرة نتذَكّرُ تجربتَنا الجميلة.

سوقطرة
تلك الجزرُ المُبحرةُ في الزرقةِ
تطفو
تخطو بفساتينَ من ألوانِ قوس قزح
البحرُ كأنه مدادُ كلماتِ الله التاماتِ
والشجرُ أقلامُ الشعراءِ الذين كتبوا الملاحمَ الساحرةَ،
والموجُ يقذفُ بكل الخيالاتِ المدهشةِ
سموات الله المفتوحة مظلتها الأنيقة
تحرسُها الريحُ من شرِّ النفاثاتِ
محاطة بالماءِ
يتدفقُ الماءُ من خديها
بلذةِ نبيذ بوردو
بخفةٍ، ونعومة جعة ستيلا
تمدُّ الكأسَ إلى القمر،
يتناولُه بلهفةٍ
يستقي منه جمالَه الفضيّ،
والعطر يفوحُ،
يُغرقُ الفضاءُ، ويُهدي الشمسَ بعضَه
والجبالُ تتعرّقُ عسلاً نقيّاً مُسكراً.
كيف أصبحت منسيّةً اليومَ؟

نسيها هواةُ التزلجِ على الموجِ،
وهواةُ الغطس،
وهواةُ التحليق بالمناطيد،
وهواةُ الشعر، ونسّاجو الحكايات.
تخلّى عنها التاريخُ، والقنواتُ الفضائية، وكلُّ المهرجين.
الأحلامُ اللانهائية تتفتّحُ أزهارُها هناك
تُظل شجرة دم الأخوين براعم التوت
تحميها منَ البردِ، والظلمة
تحتضنُ ممالك الفراشاتِ، والنمل الطيب المسالم
وحدَهم باعةُ الأوطانِ لا يشعرون بكل هذا الجمالِ
يعرضونها في مزاداتِ النخاسةِ
بثمنٍ بخسٍ، ودراهمَ قليلةٍ.
وجهُ سوقطرة حزينٌ،
كوجوهِ كلِّ أمهاتنا
ترنو عيونُها إلى يدِ الله الذي عجنَ طينَها،
ورتّبَ أحجارَها حجرةً حجرةً
اصرخي؛ ليسمعَك
كلُّ مؤلفي الأغاني والألحان،
ومُبدعاتُ الرقصِ على الجمر،
وزوارُ الحسين،

ومُشعلو الشموع في كاتدرائية نوتردام
سوقطرة
بالأزاميل، والمطارقِ السماويةِ
نُحتتْ جبالُك، وهضابك بإتقانٍ،
وعلى القمم ملاهي الملائكة
سوقطرة
الخوفُ ليس من فحيح أشباحِ الشياطينِ الشريرةِ؛
لأنّ القداسةَ تملأُ قلبَك،
تغسلُ كلَّ ذرةِ ترابٍ في أرضكِ
ما أخشاه
كلَّ الأيادي الآثمةِ اللئيمة
الفاسدين
الأوغاد
صُناع البشاعةِ
حققوا أرقاماً قياسيةً في النذالة.
سوقطرة
أيتها الطاووسُ الفردوسيُّ
اخفي أحلامَك، وأحلامنا في صدرِ براكينِك الدافئةِ
أطلقي جداولَك العذبةَ
أنتِ قادرةٌ أن تغضبي

أن تلعنيهم جميعاً
أنا في المنفى البعيد
لا أستطيع أن أحملَ إليكِ المددَ، ولا الهواء
سوف أحاولُ إقناعَ أصدقاءَ وصديقاتٍ؛ لنقيم ليلة زار
نُشعلُ البخورَ، والشموع
نرقصُ السامبا
نشرب،
ونغني الرابَ
مع أمينيم،
ونصلي لك
أعلم جيداً كيف تشعرين؟
فمكِ جافٌ، وأنفاسُكِ ضيقةٌ
تنفسي
تنفسي
سلامٌ منكِ علينا
سلامٌ منا عليكِ.

بالمصادفةِ بدأتْ علاقتُنا بالصداقة،
ثم تشاركنا ولعَنا بالأفلام والمسرح،
تشاركنا في طبخ يخنة أسبانية
تشاركنا لعبةَ الجسدِ الواحدِ
تتشابكُ سيقانُنا، وأصابعُنا
في النهاراتِ يحلو لها إعادةُ بعض طقوسِ الليل
في الحافلة ترمي بصدرِها على صدري
يتشابكُ شعرُها بأزرار قميصي
الحبُّ يمنحنا السعادةَ، والخيال
بوسعِه أيضاً أن يهدمَ العالمَ بأكمله
منَ المؤسفِ أن الزمنَ لا يتوقّفُ عند هذا الحدِّ،
ولا يعودُ إلى الوراء؛ لنستعيدَ لحظاتِ اللذةِ المثيرة
القليل من علاقاتِ الحب مثل الفلينة التي لا تغرقُ في البحر
العزلةُ موحشةٌ بدونِ صورةٍ للحبيبة، ولا كلماتِ وداعٍ
يصبحُ العالمُ جافاً
تتبخّرُ الكلماتُ قبل الإمساكِ بها
قبل نحتِها
تهربُ، ولا تعودُ
يصبحُ الحلمُ بالقصيدةِ مستحيلاً
أقذفُ نفسي بين الضجيج

الأسواقُ الشعبية التي تعرض منتجاتٍ رديئةً
شارع بيجال، وبناتُ الليل والقوادون،
حيثُ لا تنزلُ الملائكةُ خوفاً منَ الفتنةِ
والشياطينُ لا يُتعبون أنفسهم في الغواية
تسحبُني ذاكرتي بهدوءٍ خارجَ قيعانِ الفُحشِ
أعودُ إلى كوخِ الزمنِ الهَرِمِ
أبحثُ مرةً أخرى عن مأوى
عنِ النسيم العليل
والكلماتِ،
وحركات التشكيل الضمة، الفتحة، والكسرة
ظننت أن قلبها بيتي
وأني سأكونُ في مأمنٍ من مصائدِ الجنونِ
أتذكّرُ بلدي البعيدَ
سوق الملح، والعقيق، والتوابل، والزبيب
الوجوه المرحة
أهلي المؤمنون بالله حدَّ المعجزةِ،
كل العرّافين، والمنجمين خانتهم النجومُ
لم يُخبرونا بحربٍ قادمةٍ
لم يُخبرونا بجوعٍ مُدمّرٍ،
ولم يتوقعْ أحدٌ أن يبلغ الحريقُ كلَّ هذه البشاعةِ

حتى مواكب النمل فشلتْ أن تجد مأوى
موادُ غريبةٌ في الهواء جعلتْ ريشَ الطيورِ، والعصافير ثقيلاً
والبحر الساكن الصامت كبساطٍ قديم متهالكٍ
لا يرحب بالصيادين، ولا يصفقُ للأهازيجِ
تملّحتْ أرواحُنا، بما يكفي لتنهارَ
ننتظر الماءَ العذبَ
المطر.

قبل الحربِ كانتْ دموعُ الأطفالِ التي تنهمر على الترابِ
تتحولُ إلى زهراتٍ تسكنُها الفراشاتُ الملونةُ
كان الأطفالُ يبكون؛ لتأخّر الحلوى، أو لمشاهدةِ الكرتونِ
تطيرُ الفراشاتُ في مرحٍ
في فضاءٍ واحدٍ، وأرضٍ واحدةٍ
الحربُ قسمتِ الأرضَ إلى نصفين، والقلوب أيضاً
سحبتِ السماء شعر المطر
الذي كان ينسدلُ على الجبالِ والسهول
كنا نرى البحرَ يتّشحُ بصولجانِ ضوءِ الشمس والقمر
حزينون نحنُ يا الله
تسكبُ لنا شروقات ملتهبة
والنخلات فارغات

لم نعُدْ نعرفُ بيوتَنا
يكسوها الهلعُ منَ اللحظة القادمة
في السماءِ
طيورُ اللقلقِ تحلّقُ
تفرُّ منَ الفجيعة،
وتطالعُ بوصلتها
تفتح المذياعَ بصوتٍ مرتفعٍ
لعلها تلتقط وشوشةً لأرضٍ سلامٍ
نافذتي تطلُّ على مبنى مكتبةٍ قديمةٍ
تعرضُ أفلاماً قديمةً
هذه الليلة ستعرضُ فيلم صنعاء لبير باولو بازوليني
صنعاء ـ النوافذ العالية
وأعين الأطفالِ التي تحدقُ في الأزقةِ
أعين الأطفال ـ التي تعرفُ السماءَ أكثر مني
أعين الأطفال ـ تنتظرُ سُحباً بيضاءَ تشربتِ الأزرق
أعين الأطفال ـ أكثر صدقاً لا تخدعُ
أحياناً يجازفُ الأطفالُ بمدِّ أياديهم؛
للإمساك بنجمةٍ تأتي مبكرةً، قبل الغروب
منذ بدايةِ الحربِ زاد احمرارُ السماءِ
الأطفالُ منَ النوافذ يسترقون السمعَ للأحلامِ العابرةِ،

ومن نوافذَ أخرى تنطلق الموسيقى
وبكاءُ الأطفالِ الرضّع، وضحكاتُهم.
أنا أعودُ إلى المرآة، ومرةً أخرى أكونُ طفلاً
لي نفسُ عيونِ الأطفالِ
أمدُّ يدي منَ النافذةِ
تلسعُني برودةُ الطقسِ
تثورُ الأسئلة في رأسي
كيف يسقطُ الموتى هناك؟
هل يتذكرون تفاصيلَ تلك اللحظاتِ؟
هل يسمعون صوتَ ملاكِ الرحمةِ
ينادي:
يا معشر الموتى تنفسوا بعمقٍ
لا بأسَ عليكم
حانَ وقتُ النومِ الأبديّ الهادىء
رأتِ الحبيبة حيرتي، وأنا أبحثُ عن عنوانٍ لما أكتبُه
أهوَ كسلُ الإلهام؟
ربما لأني لستُ في حالة ثمل
تبدو خيالاتي ثقيلة،
أو لأني مجردُ طفلٍ
أقولُ كلَّ شيءٍ دون إثارةٍ، ولا مبالغةٍ.

لم نشترِ مرايا بحجمٍ كبيرٍ،
رغم حاجاتِنا لبابٍ ميتافيزيقيٍّ نفرُّ منه لعالمٍ آخرَ
هذا العالمُ لم يكن بمقاسِ آمالنا
تُحدّقين بي مع ابتسامةٍ لطيفةٍ
ثمّ تبكين صارخةً:
يجبُ ألا يفرّقَنا شيءٌ.
أقولُ لك: أنا من بلادٍ بعيدةٍ كما تعلمين
تضربين صدري كطفلٍ يُقلّدُ ملاكماً
خذْني إلى البحر، والوديان هناك
سأرقصُ معَ النحلاتِ والزهراتِ
يمكننا أن نستظلَّ بالنخلاتِ، ونتعلّمَ تسلقهن
والسعف ينحني علينا يقصُّ لنا الحكاياتِ والخرافاتِ
الجنياتُ هناك يشربنَ الندى من كؤوسِ الفخّارِ.
الليلة كالعادةِ باردةٌ، ورذاذُ المطرِ يُبلّلُ كلَّ شيءٍ
يبلّلُ قلبي أيضاً
لم تعُدْ تلك البلادِ مأوى الجنياتِ الجميلاتِ
لا أعرفُ ماذا حدث لهنّ منذ بدايةِ الحربِ
ما الذي يجعلُني أقلقُ عليهن؟
هنَّ يمتلكْنَ قوةً خارقةً بوسعهنّ الفرارُ
حبيبتي أنتِ لست هنا؛ لتشاركيني القلقَ

انفصلت عني قبل الحربِ
كأنكِ تعرفين ما سيحدثُ لي
خسرتِ الطبيعة مفاتنها
ربما لن تكوني لي مرةً أخرى
لا تنام ذاكرتي، رغم سكونِ الليالي الثقيلة
تعجزُ عقاقيرُ التخدير لجعلها تسترخي، ولو في غفوةٍ قصيرةٍ.
تنهض ذاكرةُ الطفولةِ
أركضُ في حقولِ البرسيم
يُخيّلُ لي أن ما بعدها حافةُ الأرضِ، ونهايةُ العالمِ
هذا الكونُ الجميلُ بشروقه، وغروبه
كنت أسأل: هل نحن بحاجةٍ إلى جنة؟
كل شيءٍ هنا يسيرُ على ما يرام
تراودُني أفكارٌ، وشكوكٌ كثيرةٌ
ما أجملَ أن تكون الجنةُ نسخةً من حياةِ الطفولةِ السعيدةِ !.

مدينتي بيتُ الفقيه كطفلةٍ جميلةٍ
تهوى القصيدةَ، والبلاغة
مساجدُ كثيرةٌ، وأحزانٌ لا تنتهي
أفراحُها مؤجلةٌ، لحين هطولِ الغيث
هناك طفولتي، وقبرُ أبي
مات أبي بصدرٍ رحبٍ ممتلئٍ بالهواءِ النقيِّ
امتصّتْ رئةُ الأرضِ تلك الطهارةَ
انشرحَ صدرُها الضيّقُ، ثم ابتسمت.
تذكرت الأصدقاء الذين شاركوني قراءةَ أولِ حكايةٍ كتبتها
شاركوني انتظارَ نتيجةِ شهادةِ البكالوريا،
ثم حلمنا في مجلس المقيل بأحلامٍ كبيرةٍ
كانت طفوليةً
فيها البراءةُ
ثرثرْنا في السياسةِ كثيراً، ومناهجِ الفكر
تجادلْنا حول ماركس، وفرويد، والحلاج، والغزالي، وناصر
تعاطفْنا معَ الحسين، والخوارج، وغاندي
صفقنا لمايكل مور، ورسمنا جيفارا وشماً على صدورِنا
رفضنا غزوَ الكويت، وبكينا ليلةَ سقوطِ بغدادَ
كتبنا عن هيروشيما، وكلِّ المحارقِ
نعشقُ فيروز، وأمَّ كلثوم، وسعدون جابر

نغني مع لطفي بوشناق «أنا اليمني يا وجع اليماني»
كان فينا منَ الحماسِ والقوّةِ، لننقلَ جبلَ أحدٍ من مكانه،
لكننا نحترمُ القداسةَ
لم نتخيّلْ أن نكونَ المحرقةَ الجديدةَ القادمةَ
لم يُخبرْنا التاريخُ؛ لأنه
لا يكتبُ كلَّ شيءٍ
يكتبُ فقط ما يُملى عليه، وليس الحقيقة
نحن التراجيديا التي لم تُكتَبْ بعدُ
الروايةُ المحزنةُ التي لم تُترجَمْ
الشعبُ الذي لا يبكيه أحدٌ.
مدينتي
يُعانقُها البحرُ منَ الغرب
تلبسهُ كقلادةٍ زمرديةٍ ليالي الفرحِ
والجبالُ في الشرق كتيجانٍ على رأسها
تمدُّ سيقانَها، حيثُ الأوديةُ تسقي البحرَ
تمدّهُ بالعذوبةِ، والحياة
ترفعُ أذرعَها، وتحمل رايةَ الحبِّ، وشموعَ الضوء.
ولدتني امرأةٌ تُطيل الركوعَ، والسجودَ في صلواتِها
ترتجلُ أهازيجَ الدعاءِ في اللحظاتِ السعيدةِ، والمؤلمة
تعجنُ الخبزَ بمحبةٍ،

ترسمُ أصابعَها العشرَ على جبين كلّ رغيفٍ
تُهدي الجيرانَ الحلوى، والابتسامات
وللأحفادِ الأغاني، والهدهداتِ الناعمةَ
أتذكرُكِ أمّي
الوضوءُ بعد الوضوءِ، والصلاةُ بعد الصلاةِ
إن غفتْ تنهض الجنّيةُ التي تُشبهُها؛ لتُصليَ
بيتنا بيتُ الصلاة، وبخورُ المستكة والفارغ
ويوم الجمعة تباركُنا أمي
نلبسُ الأبيضَ، والشالاتِ الزرقَ
بالعودِ، وعطرِ العنبري الزاكي تزفُنا إلى أبوابِ الجوامعِ
تتصاعدُ كلُّ أنواعِ البخورِ من بيتنا كحمامةِ سلامٍ،
وطعم القرفةِ والزنجبيلِ
الشاي بحباتِ الهيل،
وشراب الزعترِ، والنعناع،
والذرة المشوية، والبطاطا الحلوة على الفحم الطيب،
وزيت السمسم نأكلُه، ومنه ندهنُ شعورَنا، وصدورَنا
واللوز، والفستق، والزبيب كل عيدٍ،
وحليب بقرتنا، بقرةٌ فاقعٌ لونها
واللبا بطعم الكمون، كلما تضع بقرتُنا حملَها
يصبح مولودُها صديقَنا نلاعبُه، ويلاعبُنا

كل المذاقاتِ والطقوس ما تزالُ طريةً في فمي وذاكرتي.
مدينتي، المصاحف، التواشيح، وأشعار الغزل
يحلم أطفالُها بقرية ألعابٍ صغيرةٍ،
وحديقةٍ تجمع فيها فيلاً، وزرافةً، ونعامة
فيها بعضُ البجع، وسلحفاةٌ، والكثير من العصافير الملونةِ
وثلاثةُ دلافينَ تقفزُ في بركة الماءِ، وتصفق
أماني الأطفالِ الصغارِ متواضعةٌ، وممكنة.
الناسُ البسطاءُ بمدينتي
يشترون الشمعَ، قبل الخبز
يشترون أكفانَهم في مواسمِ الحجِّ والعمرة
يُهدون الكعبةَ المسكَ والعنبر
يزرعون الصبارَ، والورودَ في المقابر
تُوجعُهم الحربُ، وتأخّرُ رحلةِ الغيم
إلهي لا تتركْ أهلي يموتون في الظلمة كالخونةِ
أسمع صوتاً من هناك يغني مع كومباي
(واهيرا وانتانااميرا)
طال سواد الليل المحمل بالأشباح الشريرة،
لكن سقفَ الأماني يرتفعُ
نقول للشمس:
أخبري الله حين سجودِك، عند الشروقِ، والغروب

أن يُميتَنا مبتسمين، وتُظلل قبورَنا شتلاتُ الياسمين
تتحلل أجسادُنا تغذي كبد الأرض،
والقليل منَ الندى؛
لتُورقَ من جديدٍ نبتةُ الريحانِ العطرة
تُسخن العناقات.

صديقاتي، وأصدقائي الذين أعرفُهم
يبدعون في الكتابةِ، والشعرِ، والفن، والتأمل
يعرفهم الله جيداً؛ لأنهم لا يملون التحديقَ في السماء
بعضُهم ابتكرَ أجنحةً، وحاولَ أن يطير
للبعضِ الآخرِ وسائلُهم؛ لمعرفة ما يحدثُ في الأكوانِ العلويةِ
لهم عالمُهم، وعاداتُهم، وتقاليدهم، وطقوسٌ مختلفة
بعضهم يعرفُ لغةَ الطير،
بعضهم يُفضّلُ الحديثَ للأشجارِ
لهم أوهامُهم، وشكوكهم حول الكونِ، والوجودِ
أخذَ الموتُ بعضَهم في رحلةٍ للبعيد
يكلمون العالمَ بلسانٍ قد يخرجُ عن قواعدِ اللغةِ
لسان يُعبّرُ عنِ العاطفةِ، والإحساسِ، والشكِّ
كأنها محضُ أصواتٍ تخالفُ منطقَ الزمنِ والجغرافيا
تمَّ القبضُ على بعضهم
يُسجنون في سراديبَ مغلقةٍ
هنالك صُودرتْ أقلامُهم ودفاترُهم، ووسائلُ الكتابة
من ضوءِ شمعةٍ أعادوا رسمَ الفردوسِ والجحيم
تقاسموا سيجارةً
نفثوا دخانَها؛ لخلق سمواتٍ مرتفعةٍ
ليس بمقدوري هنا أن أرى، وأسمعَ كلَّ التفاصيل

سجنهم ضيقٌ، وسجّانُهم مُتجهّمُ الوجهِ
يعذبُهم بقسوةٍ؛
لأنهم كتبوا عن عنفِ الحربِ، وجبروتِ الموتِ
لأنّ الريحَ خذلتهم،
وهي تكنسُ أوراقَ الربيع، وبقايا رمادِ سقوطِ المدنِ المُدمّرَةِ،
رغم قوتِها رفضتْ حملَ قصاصاتِ كلماتهم،
لكن النارَ التي أحرقتْ ما كتبوه
أحسستها أصبحتْ رطبةً كالندى
علتْ إلى الأعلى؛ لتكونَ منحوتةً غيرَ مرئيةٍ.
بعدها جرفَ المطرُ بقصدٍ، أو غيرِ قصدٍ
بعضَ ما تركوه من قناني النبيذ، وأعقابِ السجائرِ
ما تركوه من شفراتِ أمواسِ الحلاقة، والأقلامِ الجافةِ
والمناديلِ التي جففوا بها عرقَهم
من كلِّ ذلك نبتتْ أعشابٌ، وأشجارٌ جديدةٌ
أغلبُ تلك الأشجارِ كانت ظليّةً لا تُثمرُ أشياءَ تؤكلُ،
لكنها تُزهرُ بعطرٍ مختلفٍ شهيٍّ.
لم تكنِ الأشجارُ داكنةً، ولا خرساءَ
ما يزالُ صوتُها يخترقُ حمرةَ السمواتِ.
منَ المرعبِ أن أعاودَ التفكيرَ في الحبيبة
أنا في عالمٍ هشٍّ، وأصمَّ لا يسمعُ صوتَ المقهورين

لم يأبهْ لما يحدثُ لأصدقائي، ولا ضحايا الحربِ
متّهمٌ في عقلي،
وقدرتي على فهم القوانينِ المدنيةِ،
وقواعدِ الحوارِ الحضاريّ
أتجوّلُ في مرايا الظلِّ
أتأملُ النملَ ينقرُ أعينَ التماثيلِ،
وأنتظرُ قواربَ الصيادين الذين لا يعودون منَ البحر
أذهبُ إلى الغابة، أبحثُ عن صوتِ البردوني
أبحثُ عن عصا هوميروس
والمِشطِ الذي فقعَ به أوديبُ عينيه
قربَ النهر المريض، أبحثُ عن بقايا عظامِ حمارعزير
لعلي أجدُ عظمةً واحدةً
تكونُ لي إزميلاً أنحتُ به وجهَك،
أو أصنع منه قلماً؛ لكتابة مرثيةٍ
أرثي أصدقائي
ووطني البعيد الحزين،

نهاية النص المفتوح

اشتياقات

الريحُ تُغنّي
ترقصُ
تُثيرُ قشعريرةً في موسمِ البردِ
تصفعُ نافذتي نهايةَ الربيع
ساخنةٌ صيفاً
قاسيةٌ في موسمِ الخريفِ
ما يعجبُني فيها قدرتُها على العزفِ
أسمعُ هزهزةَ الأغصانِ
قلبي ينتظرُ الأغاني
رسالة الحبيبة
صورة مفرحة يحملُها الأثيرُ
هاتفيني الآنَ
كلمة شوقٍ،
استلمي قصيدتي
صافيةٌ السماءُ الليلةَ
النجومُ تحتفلُ
تلبسُ السُّحُبُ فساتينَ زرقاءَ، وأذيالاً بيضاءَ

صورٌ كثيرةٌ يخلقها هذياني
يشتري الموجُ أحذيةَ كعبٍ عالٍ
هتافاتٌ، وعناقاتٌ بين البحرِ، والرملِ
تنتظر الصخورُ نصيبَها منَ المداعبةِ
يرتجفُ قلبي
أنتظرُ
لعلها تفهمُ ما يحدث؟

سبعة كؤوسٍ لم تعُدْ كافيةً
متى سأشعرُ بالغياب؟
بعضُ الهذيانِ من مقوماتِ أيِّ قصيدةٍ
يمكنُ للشاعرِ أن يخلقَ عشيقةً وهميةً،
وقصة غرامٍ متخيلة،
لكنه لن يكذِبَ في رسمِ وجهِ الموتِ
لن يُزيّفَ رحلةً إلى الجحيم
أغلبُ الأصدقاءِ هناك
ربما صدفةً،
وربما هي خيالاتي المريضةُ
أشعر بجسدي المرتجفِ،
أشعر بوهجِ الحريقِ

الدخان النتن
كأننا في ليلةِ حربٍ
أبسطُ مشهدٍ لها أنها تأكلُ عشرَ أرواحٍ
بقذيفةٍ محشوةٍ بالدمار. والكره
قنبلةٌ غبيةٌ
أدواتُ الموتِ كثيرةٌ، ومؤلمةٌ
لا أجسادَ يمكن قراءةُ تفاصيلِها
كلُّ الوجوهِ محترقةٌ،
حتى وجوه القتلةِ
سوداء كاحلة

أسرفتُ كثيراً في الشربِ
أنهيتُ قنينةً كاملةً منَ النبيذ الأحمر،
وأحرقتُ الكثيرَ منَ التبغِ
لا أشعرُ بأيِّ تأثيرٍ
الكحولُ كالماءِ،
والدخانُ يتسلّقُ السماءَ
لا ردَّ يأتي منَ العشيقة
ليلةٌ باردةٌ أخرى، ومملّةٌ
أخبارٌ لا تختلفُ عن ليلة البارحةِ
أشياءُ كثيرةٌ تتكرّرُ
ضجيج

وجوهُ أصدقاءَ أخذَهم الموتُ لرحلةٍ بعيدة
لا أعتقدُ أني سأكونُ عاشقاً ناجحاً،
ولا حتى شاعراً جيداً
سيجارةٌ أخرى أشعلُها دونَ وعيٍ
أراقبُ الكأسَ الأخير،
والخيالاتِ الأخيرةَ التي تهطلُ
إنه الليلُ
ينزفُ الكثيرَ منَ الظلمة
والصمتِ أيضاً .

أشتاقُ إليها
يبدو النسيمُ مشلولاً لم يرسلْ أيَّ إشارةٍ منها
أشرقتِ الشمسُ هذا اليومَ بتوهّج،
لكني بقيتُ متدثراً بمعطف الشتاء
لم أقوَ على كتابةِ قصيدةٍ
رعشة القلبِ سبع درجاتٍ بمقياسِ ريختر
يلوحُ النهرُ من بعيد،
وسحابةٌ تتوقُ إلى اللذةِ تبحث عن شريكٍ
يغريها الموجُ لمعانقته
يفرشُ له بساطاً من رغوته المغرية
يظهرُ فخذاها، ومفاتنُ أخرى
تسلّقُ السماءِ مخاطرةٌ ليست سهلةً
في زمن الحربِ قد نخافُ العشقَ
في زمن الحرب قد نفقدُ شجاعتنا
نخافُ الموتَ أيضاً
أتوقُ للقياكِ
بقلبٍ ثريٍّ
أملكُ فقط تذكرةَ القطار
أفتقدُ ثمنَ بعضِ الحشيش
وزجاجة كونياك شرابك المفضل.

بقعةُ الضوءِ الصغيرةُ
تهزمُ الظلمةَ الحالكةَ السوادِ
تظهرين فجأةً؛ لتجعلي المشهدَ أكثرَ إشراقاً
يأتي صوتُكِ من بعيدٍ
كلمة حبيبي لم يقلْها أحدٌ منذ زمنٍ بعيدٍ
أرتعشُ
يسقطُ الكأسُ من يدي
تذوبُ السيجارةُ،
يرتسمُ الأخضر، والأزرق، والأبيض
كلُّ الألوانِ البهيجة صار لها معانٍ حياتية
قبل ذلك كان الأبيضُ لونَ الكفنِ
كان الأزرقُ لونَ الغرقِ في البحر
كان الأخضرُ تلك النبتةَ تنمو على قبري.

سقطت في شباكِ العشقِ
دونَ تخطيطٍ،
دونَ الاستعدادِ، وبلا أدواتٍ
حالةٌ مخيفةٌ
ممتعةٌ أيضاً
مجازفةٌ خطرةٌ
العشقُ يجعلُك هشّاً
تحترقُ كورقةٍ صفراءَ جافة
تلاعبُها الريحُ في ظهيرةِ صيفٍ ملتهبٍ
تسقطُ أبوابُ القلبِ المُغلقةُ
لا أقفالَ الآنَ،
أيْ يُمكنُك الدخولُ،
يمكنُك العبثُ بكلِّ شيءٍ
يُمكنُك أيضاً أن تزيلي الفوضى بداخلي
أدخليني أيضاً في قلبك
بلا شروطٍ، كما فعلتُ أنا لكِ.

أرى شفتيك المعطرةَ بأحمرِ الشفاهِ من شانيل،
وأنتِ أمام المرآةِ بالشميز الورديّ الشفافِ الليليّ
قد أكونُ في خيالك في هذه اللحظةِ
تمطرُ في قاعِ روحي همهماتُكِ
اكسري كلَّ المظلاتِ
تسرّبي في داخلي
طالتْ سنواتُ العطشِ
ها هي الأنهارُ عذبةٌ تتدفق،
والأسماكُ الملونةُ الصغيرةُ ترقصُ على السطحِ
لا تخافُ صياداً قاسياً،
وأنا لا أخافُ أن أكونَ ثملاً بكِ
تعالي نمتزج لألف ليلةٍ وليلة
ثم نعيدُ المغامرةَ مراتٍ، ومرات.

يزدادُ الشوقُ إليها
كلما تذكّرتُها أنسى لفيحَ البردِ
ركلاتُه المتتاليةُ لا تنتهي
وحدها تبعثُ الدفءَ،
ثم أصبحُ قادراً أن أكتبَ قصيدةً بهيجة
أنتظرُ صوتَكِ يرسمُ ليلةً مختلفة
ينفخُ الضبابُ سبعَ بالوناتٍ رمادية
أخذ ريشتي محاولاً تلوينَها
حتى تشعري بالفرحِ.

استرقتُ ساعةً أتأمّلُ السماءَ
كانت شفتاك الشفقَ الذهبيَّ
حدّقتُ فيها
اقتربتُ أكثرَ
فاحَ عطرُكِ الذي خلقَ الربيعَ قبل موعدِه،
أنا بالقربِ منك الآنَ
أُمسكُ بيدكِ
صدركِ هذه الحديقةُ الساحرةُ
علّميني خارطتَها
امتطي جبلي
سفينة نوح غارقةٌ هناك،
وأنا أغرقُ في عناقاتكِ.

مَن قال إنكِ لستِ ملاكاً،
إنّ شفتيكِ ليست نهراً فردوسياً؟!
يضحكُ الربيعُ
هو خدّاكِ لونُ الفراولة
عنقكِ
وردةٌ لا تذبلُ
نهداكِ قيعانُ الجنة
كلُّ الألوانِ زاهيةٌ فقط اضحكي
بنتَ آلهةِ الجمالِ
فيكِ يحلو الشِّعرُ، والنثر،
يزدهرُ بجمالياتٍ ساحرةٍ .

يتصاعدُ دخانُ سيجارتي المُلغمةِ بالحشيش
ثمّةَ سمواتٌ فوق السمواتِ التي نراها
ثمّةَ أبوابٌ، ونوافذُ
الكثير منَ الضوءِ، والألوانِ التي لم تدركْها أبصارُنا العاديةُ
والكثير منَ الضجيج أيضاً
بعد الكأسِ الثالثِ منَ النبيذ الجيّدِ
يسقط الكأسُ،
أو ينزلقُ من يدي
أدركتُ أن صدىً، وصراخاً أجهلُ مصدرَه
بحكمِ مقياسِ العمر لا أقدرُ دعوةَ النادلةِ لموعدٍ غراميٍّ،
لكنني يمكنُ أن أعيشَ كلَّ لحظاتِ اللذةِ في حلمٍ
لا أمتلكُ المزيدَ منَ المالِ لكأسٍ رابعٍ
أكتفي بهذا القدرِ منَ النشوة
كأني أهربُ دوماً، وأركضُ
بعيداً عن مشاهدِ الحربِ التي تستعيد شبابَها
ظننتُ أنّ الموتَ سيصابُ بالهرم،
بالخرفِ، والضعف، وقد يطلبُ استقالةً عاجلةً
خابتْ ظنوني جميعُها.

أربعة أشياءَ يمكنها أن تقضي على الرجلِ:
المال، السلطة، الشهرة، والمرأة
لم أكنْ مولعاً بالسلطة، ولا جمعِ المالِ
لا يهمُّني أن يكون اسمي، ولا صوري على المواقعِ، والصحفِ،
لكني أعترفُ بعشقي للنساءِ
أهوى الخمرةَ، والتدخين
أحبُّ السفرَ، عبرَ أحلامِ القصيدةِ
أغترفُ منَ الألوانِ كي أعرفَ مَن أكونُ
لا يعنيني مَن يملكُ السماءَ، ولا الريحَ
أغتسلُ منَ المطر، وأكرهُ المظلاتِ
أنتظر الشتاءَ؛ لأنه يحملُ الأبيضَ
أرثي رحيلَ الأصفرِ، بعد سفرِ الخريفِ
قلتُ لك ستكونين آخرَ عشيقةٍ
في كلّ بيتٍ وقصيدةٍ،
في أحلام يقظتي المجنونةِ
لم تكن لدي خطةٌ بعد الفراقِ
سلكت منعطفاً خطأً
الحربُ هناك أكلتْ ما لا ينبغي أن يؤكلَ
القرى تلتحفُ سمواتِ الحزنِ،
والمدنُ فقدتْ شهيّةَ الفرحِ

البحرُ لا يملك أيادي للسباحةِ
تقفُ القواربُ صامتةً
لا أهازيجَ تُثيرُ النخلَ، وتحثُّه على التزاوجِ
ينشد حمار عزير أسطورَته الخالدةَ
يتفاخرُ أنه عاد حياً، بعد قرنٍ منَ الفناءِ
يبحثُ عن شريكةٍ لها الرغبةُ في المعاشرةِ
لا ماءَ، ولا نبيذَ، ولا فياجرا هنا!
العشبُ أصبح بلونٍ رماديٍّ
قرّرَ أن يبحثَ عن أرضٍ أخرى لم تمسسْها الحربُ
فيها حاناتٌ، وحدائقُ وملاهٍ.

ما نزال أطفالاً

الإهداء: إلى الشَّاعر القس جوزيف موسى إيليا
يغترفُ الرَّبُّ من ينبوعِهِ
ينثرُ ألواحَ قوس قزح
كنّا أطفالاً تغرينا شهقةُ السَّمواتِ
همهماتٌ في الأعلى
وتصفيقٌ ...
أصبحَ لكلِّ عاشقٍ ملاكٌ
يشدُّ من أزرِهِ؛ لينسجَ قصيدةً
يواسيهِ في ليالي الهجرِ
يقبضُ روحَهُ إن طالَ الفراقُ ..
يغترفُ الرَّبُّ من ينبوعِهِ الآخر
قبضةً من نجوم
يزرعُها فوقَ الرَّوابي والغاباتِ
تزهرُ للعشاقِ
تظلِّلُهم، فلا خوفَ عليهم
تعالي نبحث عن عشبةِ اللّاخوفِ
اللّاحزنِ،

اللّاوجعِ
وعدتَني يا أبي بلقاءٍ قريبٍ
ظننَّا أنَّ الحربَ شاخَتْ
أنّنا سنقبرُها
نهيلُ التُّرابَ، ونبتني قبراً إسمنتيّاً
نوصدُهُ عليها
قلتَ لي: صدّقني،
لماذا أصغيتَ لصفيرِ قطارِ المغادرة؟
تسبحُ أحلامُنا المشروعةُ
يصفِّقُ الأطفالُ
قوسُ قُزَح يكحِّلُ عينَ الشَّمسِ
تكلِّلُ أعناقَ السُّحبِ بعناقيدَ مغريةٍ
يدي ظمأى،
الكأسُ على الطَّاولةِ
نصفُهُ ضوءٌ، ونصفُهُ فراغٌ
الزّجاجةُ تنتظرُني،
يتلصَّصُ النَّدى
ليلٌ ساكنٌ،
وأنا المسكونُ بالهواجسِ
أنتظرُ العودةَ

همساتٌ بلغةٍ غيرِ أرضيّةٍ
ترقُّباتٌ لهلالِ العيدِ
ما نزالُ أطفالاً
ننتظرُ ضحكةَ الرَّبِّ.

تمطرُ وتمطرُ

الحربُ تأخذُ العيدَ بعيداً
ترميهِ في جبّةٍ مظلمةٍ
لا قوافلَ في الطّريقِ،
لا دلوَ يفرغُ هذا السّرابَ
تقفُ ريحانةُ العيدِ وحيدةً
تنتظرُ عاشقاً
يشتمُها
القصيدةُ عاريةٌ
العشيقةُ ما تزالُ غاضبةً
وحدها العاصفةُ
اكتسَتْ فستانَها
ها هي ترقصُ
في الطّرقاتِ، وعلى الأسطحِ
هاتها يا ساقي
صفراءَ الرّغوةِ
حمراءَ الشّفاهِ
بيضاءَ الصّدرِ

رديّةَ الأفخاذِ
تعالي مكلّلةً بالياسمينِ
أعشقُ فمَكِ، وأغانيكِ
لم أجرِّبْ اللّهوَ بالبندقيّةِ
لا أعرفُ لونَ البارودِ
ولدتُ، وفي فمي قصّةٌ خرافيّةٌ
حالماً بالسَّفرِ
لم أدركْ أنَّ الغربةَ عذابٌ،
أنَ الألمَ ينضجُهُ البعدُ،
ثمَّ تكونين عذاباتي الجديدةَ
تتضخّمُ المسافاتُ بيننا
لم تفلحْ مناجاتي الصّريحةُ، والمستترةُ
الحربُ أيضاً أبعدتني عنكِ
كلَّما همَمْتُ أنْ أكتبَ لكِ
ينقلبُ الغزلُ إلى بكاءٍ
الحربُ تأكلُ أحلامَنا
تمطرُ، وتمطرُ،
لا مظلّةَ
تقي
قلبي منَ البللِ.

حفنة من حلم

حفنةٌ من ماءٍ
كأسٌ من طينٍ
سحابةٌ بيضاءُ
تصبح بقعةَ ضوءٍ في لوحةٍ تشكيليّة
صرخةُ طفلِ
زغرودةٌ مخنوقةٌ
وداعٌ عند المقابرِ
هكذا الحياةُ أصبحت.
وأنتِ تؤثّثين بداخلي قصيدةً عاريةً
مزهرةً بالخرافاتِ
تحبُّ البحرَ
تحبُّ النبيذَ
تحبُّ الرّقصَ
وجنوني.

حفنةٌ من ماءٍ
نهرٌ منَ الدُّموعِ

لا دمَ يفوحُ
الحربُ تُعيدُ تشكيلَ الألوانِ
تُعيدُ كتابةَ الأمنياتِ
قاموسُها يحفلُ بالفوضى
بالأحاجي
الشّفرات الصّعبة.
أرتعدُ منَ الخوفِ
أيُّها الأصدقاءُ
أيَّتها العشيقةُ
ماذا تنتظرين؟
لم أعُدْ ذلك العاشقَ
قويَّ الباءةِ
لن أعدَكِ بليالٍ مدهشةٍ
ممنوعٌ من أقراصِ الفياغرا
الفودكا توقدُ الذّكرياتِ
النّبيذُ يُعيدُني طفلاً
معك لا أخافُ الموتَ
أدعوه لمبارزةٍ شعريّةٍ
يتلعثمُ
تضحكين.

حفنةٌ من بخورٍ،
محيطُ الرّغباتِ،
أشرعةُ اللّذةِ
تعالي نجدف معاً
نبحثُ عن جزيرةِ أحلامِنا
ينتظرُنا يونسُ النّبيُّ
يمسكُ سيفَ المتنبِّي
تحتَ شجرةِ اليقطين
تستظلُّ ناقةُ صالح،
حمارُ عزيز
فيلُ أبرهة
نستطيع أن نبنيَ مدينتَنا الفاضلةَ
فقط لا تنسي أقلامي،
وحفنةً من مداد.

خذ الحلم بقوة.
إلى حكمت الحاج

نصفُ كأسٍ، وعودُ ثقابٍ مُبلّلٍ
يهطلُ المطرُ، والشمسُ ما تزالُ عاريةً
ستظلُّ الصحراءُ شبِقةً لقصّةِ عشقٍ
ستظلُّ تواقةً لنبتةٍ تكبرُ، ويصبحُ لها ظلٌّ
غناء العصافيرِ
رجفة الأغصانِ
بقايا هذيانِ حكمت الحاج
لا أراه خائفاً
يزرعُ العشبَ الأخضرَ في فخذِ نهاراتٍ ساخنةٍ
يُفخّخُ الليلَ بوهجِ كلماتٍ برتقالية،
وأخرى تميلُ للزرقةِ
برشّةِ
أحلامٍ تتّجهُ إلى القطارِ
يصفرُ الكمسري
الشرطيُّ
يدقّقُ في البطاقاتِ المدنيةِ،

حتى أكونَ بصفةِ عاشقٍ
سأحجبُ بعضَ البياناتِ
سأدّعي أنّ أوراقي تبلّلتْ
سأدّعي أنّ هنالك أخطاءً مطبعيةً
الأمواتُ لا يحتاجون للضوءِ المسرحيّ
يدّعي الموتُ أنه يجهلُ الرقصَ،
أنّ بصرَه ضعيفٌ
ملائكةُ بمظلاتٍ رماديّةٍ
شياطينُ بأجنحةٍ زرقاءَ مضيئةٍ
بشرٌ بلا أطرافٍ
فراشاتٌ تركضُ
على شفتيكِ
القصيدةُ
ليست كلماتٍ، ولا نظماً
يرسمُ الظلّ ما نسيه الشاعرُ
يلبسُ الليل معطفَه الأخضرَ
كلُّ هذه المرايا المقعرةِ لا تُظهرُ وجهَ العشيقةِ
خُذ جردلا منَ الأبيضِ، والزيتوني
أترنّحُ على جسرِ بابِ المعظم
ربعُ قنينةِ عرقٍ

لا ثمنَ لها
شهرزادُ فقدتْ قدرتَها على جعلي منتشياً
بعشيقةٍ أسعفتني بنشوةٍ غريبةٍ
قال لي سائقُ التاكسي:
حليبُ السباعِ
مع الليبليبي والباقلاء
في الثلثِ الأخيرِ منَ اللّيلِ
تستيقظُ باريس أخرى
على كتفي الأيسرِ وشمٌ
للعشيقةِ
أعلى فخذِها الأيمنِ
تركت مداعبة جريئة
ليالٍ قاحلة
قهقهة مخمورٍ
صوتُكِ
الآنَ
يهتفُ
خذِ الحلمَ بقوّة.

حلم طفولي

حيثُ يسجدُ ملاكُ الحبِّ
نهرٌ من دمٍ مقدَّسٍ
بقايا ضحكاتِ المسيحِ
من عشبةٍ مباركةٍ
غنَّى العجلُ تسابيحَ تُشبهُ أغاني الصَّقيعِ
تُشبهُ شهقاتِ الموجِ
كلُّ الحكاياتِ الطَّفوليّةِ هنا
هبطَتْ بها فراشاتٌ سماويّةٌ
صلواتُك يا مريمُ
وجهُكِ حزينٌ
نخلتُك اليابسة.
اللَّيلُ رعبٌ سماويٌّ
لأنّها الحربُ
الأطفالُ لا يبكونَ
يكتفونَ بالهمسِ
هلْ سنموتُ؟
شفتانا تصغي لأغاني فيروز

لا كأسَ يروي عطشَ الحنينِ
سأحبُّك بعدَ أيام، وربَّما سنواتٍ
فقط تنتهي الحربُ
يذهبُ الموتُ لرحلةِ استجمامٍ
يدعُ أدواتِه ومفكّرتَهُ في خزانةٍ
يغلقُها
ينسى مفتاحَها
دعيني في حلمي الطُّفوليِّ
أترجمُ أمنياتٍ مستحيلةً.
سأتسكَّعُ في الطُّرقاتِ
كملاكٍ فقدَ أجنحتَهُ
فقدَ وظيفتَهُ المقدّسةَ
لا يحملُ مظلَّةً
لا يرتدي معطفاً
يمتطي الوهمَ
يلوذُ بالقصيدةِ قلب رصيفٍ باردٍ
تحترقُ نبضاتُهُ
لا معراجَ يقودُهُ لعشِّ السَّماءِ
ملبَّدةٌ بالفراغِ
الصَّمتُ يسدلُ ضجيجَهُ

الرّيحُ تمسكُ بعصا موسى
تهشُّ بها البردَ العابرَ
لعلَّ بقايا حياةٍ تحتَ الأنقاضِ.

شظايا.. إلى الشاعر محمد بوطغان

تلمعُ في جوفِ الظهيرةِ
طفلةٌ تعبثُ بشظايا مرآةٍ
تُرسلُ طيفَها عارياً
يظلُّ صامتاً
اهمسي بقصيدةٍ ولدتْ لكِ وحدَكِ
تركتها يتيمةً
لا أعرفُ أسرارَ البحرِ، ولا صناعةَ القواربِ،
وعجزتُ أن أتقنَ لغةَ تلك النوارسِ العاشقةِ
ها هي تغادرُ لرحلةٍ بعيدةٍ
تتركُ وطناً يشتاقُ للغناءِ
سئمَ ثرثرةَ الضياعِ
سئم الظمأ
على بطنه ربط بحجرين؛
ليشعرَ بأنه ليس جائعاً،
فالموتُ يحاولُ أن يكونَ جميلاً
يغرينا بقناعِ المهرجِ
بحكاياتٍ قديمةٍ،

ببراعتِهِ في الرقص، والقفز، والطيرانِ
يقالُ يمتلكُ ألفَ عينٍ
يقال يمتلكُ ألفَ إصبعٍ
يلتقطُنا كحباتِ القهوةِ،
ربما قبل نضوجِها
قبل احمرارِها،
قبل أن تأخذَ حمامَها الشمسيَّ
قالتِ الشجرةُ:
تعالوا إليّ يا عذارى
سأهدي للجميلاتِ حلماً،
لكن المهرجَ يفزعُهنّ
شاختِ الشجرةُ في دهاليز الانتظارِ
الموتُ
لا يبالي إنْ كنا عشاقاً
نسترقُ السمعَ للأهازيجِ
لحفيفِ جناحِ فراشةٍ
نسترقُ رؤيةَ البطلِ الهنديِّ
من ثقبِ جدارٍ سميكٍ،
فالمسرحُ مغلقٌ
البطلةُ تنتظرُ دقّةَ الطبولِ

الشمسُ كسولةٌ، ومملةٌ
الموتُ
لا يبالي أننا شعراءُ
يصطحبُ الأحبّةَ
يغريهم بصوتِه العذبِ
بارعٌ في العزفِ
تعالي قبل أن يقرأَ قصيدتي
لا أريدُكِ ساذجةً
تغريك الأقنعةُ.

قالوا

قالوا إنّ قلبَ الشمسِ أصبح بارداً،
وإنّ نبضَ دقاتِه يخفتُ
أعشقُك بالأزرقِ،
وأنت تلتحفين البحرَ
هو يُمسكُ بساقيك
أحدقُ في شفتيك
تعالي لنرقصَ معَ القصيدةِ والألوانِ،
لنتذكر يومَ كان قلبُ الشمس يغني.
تلمع في جوفِ الظهيرةِ
طفلةٌ تعبثُ بشظايا مرآةٍ
تُرسلُ طيفها عارياً
يظلُّ صامتاً
اهمسي بقصيدةٍ ولدتْ لكِ وحدَكِ
تركتها يتيمةً
لا أعرفُ أسرارَ البحر، ولا صناعةَ القواربِ،
وعجزتُ أنْ أتقنَ لغةَ تلك النوارسِ العاشقةِ
ها هي تغادرُ لرحلةٍ بعيدةٍ

تتركُ وطناً يشتاقُ للغناءِ
سئمَ ثرثرةَ الضياعِ
سئمَ الظمأ
ربط بحجرين؛ ليشعر بأنه ليس جائعاً،
فالموتُ يحاولُ أن يكونَ جميلاً
يغرينا بقناعِ المهرجِ
بحكاياتٍ قديمةٍ
ببراعته في الرقص، والقفز، والطيران
يقال يمتلك ألف عينٍ
يقال يمتلك ألف إصبعٍ
يلتقطنا كحبات القهوةِ
ربما قبل نضوجها
قبل احمرارها
قبل أن تأخذ حمّامَها الشمسيَّ
قالتِ الشجرةُ:
تعالوا إليّ يا عذارى
سأهدي للجميلاتِ حلماً،
لكن المهرجَ يفزعُهنّ
شاختِ الشجرةُ في دهاليزِ الانتظارِ
الموتُ

لا يبالي إن كنا عشاقاً
نسترقُ السمع للأهازيج
لحفيف جناح فراشةٍ
نسترقُ رؤية البطل الهنديّ
من ثقبِ جدارٍ سميك،
فالمسرحُ مغلقٌ
البطلةُ تنتظر دقّةَ الطبولِ
الشمس كسولةٌ ومملة
الموتُ
لا يبالي أننا شعراءُ
يصطحب الأحبةَ
يغريهم بصوته العذبِ
بارعٌ في العزفِ
تعالي قبل أن يقرأَ قصيدتي
لا أريدُك ساذجةً
تغريك الأقنعة.

ستموتُ يا صديقي الموت
الموتُ صديقي
هات كفَّ يدِك اليسرى، وفنجانَ قهوتك

يقولون إني أقرأُ الطالعَ
تريدُ أن ترى خطَّ العمرِ
ينهضُ النهرُ؛ ليعانقَ البحرَ،
عند أقدامِ جبل (نقم)
تكلمني نَخلةُ مريمَ
هذا رُطبٌ وشرابٌ
اغسلْ يديك يا صديقي
قبل أن تهزَّ النخلةَ
اغسلْ قدميك بالثلج
قبل أن تصعدَ الجبلَ
أنكيدوا تبكيك العذارى
في الحانة
يتلونَ قصيدةً لهوميروس الضريرِ
يرقصُ الحلاجُ
بعد أن شطروا جسدَه
على الصليب
يحسبُه الناسُ عطشانَ
تقهقهُ الريحُ
يقطرُ دمُك
يسوع

لا تبكِ يا أمي
ولا أنتم يا أبناء الألم
قولوا سلاماً لكل مَن يقطرُ وجهُه الدامي
قولوا سلاماً لَمن يكتبُ قصيدةً
قولوا سلاماً لَمن يعانقُ حبيبةً
ولمن يمرّغُ يدَه في اللونِ الزهريّ
ليرسمَ وردةً
لمن يتركُ البندقيةَ
أصلّي من أجلك يا أبي
أصلّي من أجلك صديقي
لأنك ستموتُ أيضاً.

-جبل نقم جبل صنعاء الشرقي ذكره الهمداني في أكثر من موضع في صفـة جزيرة العرب، تعرض ويتعـرض لعشرات الضربات خلال الحرب الآن باليمن

عربة الموت تأخذ أبي إلى السماء

(إلى والدي الذي ارتقت روحه إلى بارئها الثلاثاء 4 مايو 2021)

وجهُه الذي رسمتِ الشمسُ ملامحَه
أتذكّرُه جيداً،
رغم سنواتِ الغربةِ الطويلةِ
ما تزالُ ضحكاتُه الهاتفية تملأ المكانَ هنا،
ثمّ يردّدُ: بلدُنا تسيرُ إلى الهاوية
الحربُ أكلتِ الناسَ،
ثمّ يصمتُ،
ينقلُ لي مشاهدَ من تلك الأرضِ الحالمةِ بالسلامِ
أقولُ:
ستضعُ الحربُ أوزارَها يا حاج
سنعودُ
يقولُ:
الخرابُ جعل الناسَ سكارى
الحربُ أهدتِ الموتَ سيفاً، وأحصنةً
يركضُ بها حتى في الليالي المظلمة
نحلمُ أن نموتَ بلا ألمٍ

رنّ هاتفي ظننتُه هو
قالوا لي: أبوك أخذتْه العربةُ السماويةُ
في ليلةٍ ظلماءَ،
دون أن يودّعَنا،
دونَ أن يمازحَ أحفادَه الصغارَ،
قبل تبريكاتِ العيدِ،
قبل تكبيراتِ الفجرِ،
قبل أن تتركَنا الحربُ.

متاهة

تحبو القواريرُ بلونِها الفضيِّ
للموجِ المتعطّشِ إلى الرملِ الجافِ،
تخلعُ الشمسُ سروالَها الداخليَّ
تتّجهُ عاريةً إلى عمقِ البحرِ،
يحتضنُها بطقوسٍ فرائحية
لغطستِها غرباً تاثيراتٌ بصريةٌ مربكةٌ
تتطايرُ خصلاتُ شعرِها الأشقرِ متناثرةً بين السماءِ والأرض
أهتزُّ منَ الداخلِ بلحظة الغروبِ،
تقتربُ مني هذه الساعةُ الحائطية
الموجودةُ هنا منذ زمنِ موسمِ قطفِ التفاحةِ
لعقاربِ الساعةِ ذكرياتُها
أستمعُ لها باهتمامٍ
حواءُ ترقصُ عاريةً مخمورةً
آدمُ يتوهُ بأحدِ بحورِ الشعرِ،
يفقدُ مجدافَه،
يسقطُ شراعُه بعمقٍ سحيقٍ
لإنقاذِه

تركضُ الريحُ راكبةً عربةً فرعونيّةً
للقاءِ العاشقِ بعشيقته نظرياتٌ يكتبُها القدرُ
النظرياتُ كالحديدِ المطاوعِ تتمددُ بالحرارةِ، وتنكمشُ بالبرودةِ
يأتي الليلُ متلصصاً
لهمساتِنا الحارةِ،
لشهقاتِنا الإيروتيكيةِ
يصلُ هذا الهمسُ طارقاً بابَ السماءِ
هذه السماءُ الخائفةُ من سقوطِ خيمتِها
أنا الطفل أتمسكُ بكِ حدَّ الجنونِ
للجنونِ حروفُه الهجائيّةُ
كان الليلُ يُعلّمُنا تهجيها
تعالي نتسكع بأزقةِ الخيالِ
نبتلّ بظلِّ قصيدةٍ.
ملحٌ، حجرٌ
تنحني الريحُ؛ لتقبّلَ ساقَ الوردةِ
يشتعلُ المطرُ فوق العشبِ
تسقطُ أوراقُ الشجرةِ متعانقاتٍ
تحركُ الشجرةُ أذرعَها؛ لترفعَ ستارةَ الضبابِ.
في زاويةٍ أخرى غزالةٌ كسولةٌ
تنامُ في ضوءِ الصمت..

تستسلمُ الوردةُ للرغبةِ
تُلقي بمعطفِها
يتعثّرُ القمرُ في مشيتِه
يتركُ كأسَه الأخيرَ ممتلئاً
يحاولُ أن يفرغَ طفايةَ السجائرِ
يتقيّأُ عدةَ مراتٍ؛ كي يستعيدَ عافيتَه.
يلهثُ
يسرعُ في خطواتِهِ
في اتجاهِ عمودِ الإشارةِ الضوئيةِ البكماءِ
يظنُّها عاهرةً رخيصةَ الثمنِ
يكتشفُ أنه وقع ضحيةَ الوسواسِ الخناسِ
ثمّ يرى ظلَّ عاهرةٍ رومانيةٍ على الجسر
يتحرّكُ نحوها..
يكتشفُ أنها جذعُ شجرةٍ تخلّى عنه مكتبُ البلدية.
تحومُ حولَ الضوءِ
فراشةٌ لا تسأمُ منَ التحليق
***
يرتعشُ غصنُ الشجرةِ،
تسقطُ قطرةُ ندى،
أحاولُ التقاطَها

تسبقُني ضفدعةٌ
تلتهمُ ذبابة،
ثمّ تقفزُ منَ النافذة.
أشعلُ سيجارةً ثانيةً
أنفثُ الدخانَ
يهرولُ مبتعداً يبحثُ عن منفذٍ للخروجِ
حرارةُ الصالةِ لا تطاقُ
على المنضدةِ شمعةٌ واحدةٌ
تشربُ دمعتَها الأخيرةَ، ثم تتظاهرُ بالنومِ
تختفي الفراشةُ
لا أدري هل وجدتْ منفذاً للخروج، أم اصطدمتْ بالحائط؟
يقفُ الحائطُ منذ زمنٍ
لوحةٌ سوريالية
علقتُ عليها وجوهاً
أتأمّلُها أحياناً،
وأخشى النظرَ إليها في أحيانٍ كثيرة.
يسوقُني الخيالُ إلى دهاليزِ الجنونِ
تُغريني موائدُ الهذيانِ
أتذكّرُكِ حينما يرتدي الكونُ ملامحَ الليل، وأثوابَ الضوءِ والظلمة
هل تشاهدين هذا المنظرَ الذي أشاهدُه الآن؟

تهطلُ رائحةُ المطر
هنالك الطفلُ يحدقُ في عينِ النهر
يظنُّ النهرَ سجادةً منَ المرايا
تبتلعُ الوجوهَ، والمباني القديمةَ
هذه الكاتدرائيةُ كنا نتواعدُ عند ظلِّ ساقِها الهرِمِ
يهبشُ الصقيعُ بعضَ أنفاسِها
تمدُّ يدَها إلى النهر؛ لتغسلَ خدودَها
ثمّ تُعلّقُ ما يزيدُ عن حاجتِها؛ ليكونَ سحابةً
كنتُ طفلاً صغيراً
أتحدثُ كما يتحدثُ الأطفالُ
نلعبُ كرةَ القدمِ بقوانيننا الخاصةِ،
نصنعُ أحلامَنا من أكياسٍ بلاستيكيةٍ ملونةٍ ومهمَلةٍ
من عُلبِ النيدو
نلتقطُ أعقابَ السجائرِ
ترفضُ أمهاتُنا أن تُعيرَنا عودَ ثقابٍ
أنتِ كنتِ تصفينني بأني الطفلُ المجنونُ
أودُّ أن تظلَّ كتاباتي لكِ وحدَكِ
دعيني فقط أخبر أصدقائي بسقوطِ صواريخَ على مئذنةِ الجامعِ القديمِ
في قريتي المؤمنةِ هناك
هرعتِ الناس لإنقاذِ صوتِ المؤذنِ ينشدُ «حي على الصلاة»

الصوتُ يحترقُ إلى هذه اللحظةِ
يحترقُ معه تلاميذُ المدرسةِ المجاورةِ لبيت الله
كانوا في حصة التجويدِ يرتلون سورةَ الرحمن
الناسُ بحاجةٍ لمئة نبيٍّ؛ كي تؤمنَ بالعدلِ،
كي تتأكدَ منهم أن الموتَ ملاكٌ سماويٌّ، ونورانيّ
أنا مقتنعٌ بما سمعته عنِ الملائكة في طفولتي
ما سمعتُه منكِ
عنهم
هم طيبون هنا، وفي البلدانِ الغنية
لكن في اليمن والعراق، والشام الصورةُ مشوشةٌ
المشكلة أن الأطفالَ هناك يرتبكون في رسمِ وجوهِ الملائكةِ
يرتبكون في رسم السحابِ، والبحر، والدبِّ الأبيضِ
لا يوجد سوى بقايا روائحَ متفحّمةٍ بصقَها الموتُ
بقيَ منَ الألوانِ
الأسودُ والأحمرُ، والرماديُّ الغامقُ
هل يسمحُ الله أن يرسمَه الأطفالُ بهذه الألوانِ؟

ليلة ساخنة في حانة باريسية

رأسي فارغٌ
لا توجدُ فكرةٌ بحجمِ صغيرٍ يمكنُ بذرُها على الرصيفِ المُبتلِّ
ستظلُّ وردتي قاحلةً هذا المساءَ،
ستظلُّ بسروالِها الطويلِ يسحبُ على العشبِ المُشتعلِ ببولِ السحابِ
أودُّ تخضيبَ ساقيها ببعضِ نظراتي
إنها ليلةٌ باردةٌ، بحسبِ نشراتِ أحوالِ الطقس
البردُ يلتهمُ الخيالَ
الريحُ تُغلقُ بوابةَ الجنونِ
الشتاءُ يركّزُ مدخنتَه وسطَ المدينةِ
تهرولُ بعضُ الأشجارِ نحو الأزقةِ الضيقةِ
القليلُ منَ الخمر لا يمنحُك مفتاحاً سحرياً، للوصول لضفةٍ جافةٍ ودافئةٍ
تقتربُ مني فتاةٌ تُمسكُ واقياً ذكرياً (برفورماكس انتنس) ماركة ديوركس
تنفخُه كي ينتصبَ،
تمازحُ به وجهَها
تريدُني أن أرشدَها لموقفِ الحافلة

تأتي ثانيةٌ تبدو ثملةً تطلبُ مني إشعالَ سيجارتِها
تشيرُ لي الثالثة، وهي تُعرّي صدرَها
أسمعُ ضحكةً شهوانيةً لفتاةٍ رابعةٍ
تتّجهُ إلى زاويةٍ منَ الحانةِ
تتوالى الأحداثُ متسارعةً، بينما أنا في حالةِ جمودٍ
فتياتُ الحانةِ يبعثنَ رسائلَ مغريةً، ومباشرةً
الفتاةُ الخامسةُ تتحسّسُ فخذيها
السادسةُ تعضُّ إبهامَها
البردُ يُقيّدُني
جسدي يتحوّلُ لجذعِ أبكمَ خالٍ منَ الثمرِ الشتويِّ
كثيراتٌ يحاولنَ التزلّجَ على رصيفي الجليديِّ
كثيراتٌ تغريهنّ سمرةُ وجهي، وتفاصيلُه الشرقيةُ
أتّجهُ بنظري نحو القواريرِ المرصوصةِ على الرفوفِ
يُغريني بريقُها
تُغريني رقصاتُها
توشوشُ لي
تفهمُ لكنتي، عندما أكتب، أو أتحدث.
***
أنا أمي الشمسُ ولدتْني من فخذِها الأيمنِ
كانت أمّ الآلهةِ العظامِ

كان قومي يعبدونها، ويبنون لها المعابدَ الفخمةَ
كانت لنا مئة جنّةٍ
لنا بلقيسُ ملكةُ سبأ
خدعَها هدهدٌ ضلَّ الطريقَ،
فكشفتْ عن ساقها، وهي تسيرُ على قواريرَ ممرّدة
أصبحتْ محظيةَ الملكِ سليمان
تنتظرُه عند الغروبِ عاريةَ الصدرِ
تحرقُ البخورَ من أجله
أحياناً يذهبُ لمحظيةٍ أخرى، أو جاريةٍ بكرٍ
تصرخُ مثل ميديا، عندما خانها جازونُ
قناني النبيذ المُعتّقِ لا تُعيدُ التاريخَ الضائعَ
تبدلتْ أحوالُنا منذ ذلك الهدهدِ المخادعِ
ذهبتِ الجناتُ
تحوّلَ الماءُ العذبُ المتدفقُ لصخورٍ صماءَ لا ظلَّ لها
فرَّ الشعبُ مهاجراً
الأرضُ لم تعُدْ تنبتُ الأغاني، ورقصاتِ الحصادِ
الشمسُ لم تعُدِ الإلهَ القويَّ، والراعيَ الرسميَّ للفرحِ
خانتنا بلقيسُ؛ لتصبحَ جاريةً على سرير ملكِ إسرائيل
خاننا سيفُ بن ذي يزن؛ ليصبحَ ملكاً من ورقٍ
خاننا عبدُه ربه منصور؛ ليعالجَ مرضَ البواسير

من أجل مؤخرتِه الهرمةِ باعَ وطنَه
أوشوشُ للقواريرِ تنهيداتِ تاريخِ قومي الحزين.
***
كنا صغاراً لنا خرافاتُنا المقدسةُ
في صباح الجمعة نسقي الموتى ماءً بارداً
نضعُ على القبورِ غصوناً طريةً، وعطرةً من نبتة الريحانِ
نعتقدُ أن الموتى لهم بيوتُهم وأسواقُهم، وملاعبُهم تحت الأرضِ
نُسلّمُ عليهم، كلما مررْنا بهم، ولا نبصقُ في وجوهِهم.
كنا نعتقدُ أن الملائكةَ تُضحكُ الصغارَ الرضّعَ
تدغدغُ أطرافَ أقدامِهم وقتَ الرضاعةِ
تتكلّمُ بلغة الأطفالِ، تفهمهم، تحكي لهم نكاتٍ مضحكةً
تحرسُهم، وتظلُّهم بأجنحتها
لا تفرقُ بين غنيٍّ، وفقيرٍ، أو بين أسودَ، وأبيضَ
الأطفالُ لديهم سواسيةٌ
تحملُ إليهم الفرحَ جميعاً
تُعيد إليهم آباءَهم سالمين بعد العملِ
لماذا تغيرتْ عاداتُ الملائكة؟
لماذا لم تعُدْ تُحبُّنا؟
هل حدثَ قانونٌ جديدٌ، وتعديلاتٌ في المهامِ الطيبة؟
حالياً تتفحّمُ جثثُ آباءٍ، وأمهاتٍ، وأطفالٍ يتحدثون باللغة الملائكية،

لكن أحداً لا يأتي للمساعدةِ
تتعفّنُ الجثثُ في القرى البعيدةِ
تركضُ الطائراتُ الحربيةُ
تحتلُ رصيفَ السماءِ،
فهلِ الملائكةُ تعجزُ عنِ الوصولِ لمساعدتِنا، كونها لا تملكُ تصريحاً للهبوط؟
لا ماءَ، ولا خبزَ على مائدةِ الفقراء،
فكيف يقولون باسم الله؟
يلعقون وجعَهم،
ينظرون إلى أجسادِ أطفالِهم الضامرةِ
الجوعُ يرتديهم
كنا نذهبُ إلى مقاماتِ أولياءِ الله
نزورُهم،
نوشوشُ لهم متاعبَنا، وأحلامَنا
كان هؤلاءِ الأولياءُ يهدوننا الأملَ
اليومَ هذه المقاماتُ مكتئبةٌ، وبعضُها أصابَها الخرابُ،
فهل هجرها سكانُها؟

***

للأسفِ لا كنائسَ في اليمن؛ كي تبكي أجراسُها عذاباتِنا
لا توجدُ صلبانٌ، ولا تماثيلُ للعذراء، وروحِ القدسِ

تمثالُ يسوعَ المصلوبِ في كاتدرائية نوتردام لا يسمعُ الاستغاثاتِ
لا أحدَ ينقلُ له تفاصيلَ ما يحدثُ هنا
مَن يوصلُ بكاءَ الأطفالِ، وعويلَ الأمهاتِ إلى الربِّ في السماءِ العليا البعيدة؟
الأرضُ اليومَ تخافُ منَ السماءِ
عاصفةُ الحزمِ ترسلُ بعوضاً يلتهمُ أحلامَ الصغارِ
تُحرّمُ عليهم الأهازيجَ، والرقصَ عند أضرحةِ الأولياءِ
الأرضُ تشتاقُ للماء، وليس للهيب المجنونِ
يغتالون الأغاني الشعبية في موسمِ الحرثِ والحصادِ
الأرضُ تنادي من لديه الشجاعةُ؛ ليحملَ سيفَ الأسودِ العنسيّ؛
ليصدَّ هذه العاصفةَ النتنةَ
أين أبو ذرّ الغفاري؟
من سيتلو قصائدَ سجاح؟
أين الخوارجُ الأوائلُ الشجعان؟
هذه الدماءُ اليمانيّةُ تُسفَكُ على عتباتِ المساجدِ والمدارسِ
هذه الدماءُ لها رائحةُ البلحِ
لها طعمُ العنبِ
لها لونُ القهوةِ
مئةُ مليونِ عربيٍّ يحتسون هذه الدماءَ، وهم يشاهدون قناةَ الجزيرة

تؤكدُ هذه القناةُ أن اليمنَ سيعودُ سعيداً، لو تمكّنَ الأطباءُ من زراعة فتحةِ شرجٍ للرئيس الشرعي!
وقال أحدُهم يجبُ أن تكون هذه الفتحةُ قابلةً للارتخاءِ، والانقباضِ، بحسب الحاجةِ، ومطابقةً للتوافقِ السياسيِّ،
فهي ليست مجردَ فتحةٍ لقضاءِ الضروراتِ البيولوجية
ستكونُ فتحةً لمستقبلٍ مزدهرٍ،
لذا يشترطُ الارتخاءُ، مقابلَ الرخاءِ!
يجتهدُ زعماءُ الأحزابِ اليمنية في إثباتِ أنّ مؤخراتِهم سليمةٌ،
ولهم فتحاتٌ قابلةٌ للارتخاءِ كبابِ المندبِ!
تتوافدُ إلى الرياض شخصياتٌ تسمي نفسَها دينيةً، ووطنيةً
تصطفُّ في طابورٍ؛ لتجاوزِ كشفِ مرونةِ فتحةِ الشرجِ، للحاقِ بالعصابةِ الشرعيةِ
يتلونون، ولكلِّ واحدٍ ألفُ قناعٍ
يركضون لأكلِ الكبسة، ولحمِ المندي
يشربون لبنَ النوقِ، مع حبّةِ البركةِ، والزنجبيل، والقرفةِ
يدهنون مؤخراتِهم، ومقدماتِهم بدهنِ المسكِ
يشترون القاصراتِ، والولدانَ الحسانَ
يطالبوننا أن نشتريَ منهم صكوكَ الغفرانِ،
أن ندعوَ لهم بالنصرِ، والتمكين على جنودِ الخميني
كلكُم باعةُ أوطانٍ

الشعبُ لا يريدُ أن يكونَ لوحةً لبيكاسو في متحف اللوفر
الشعبُ يريدُ الأرضَ،
يريد الفرحَ، والأهازيجَ الخرافية،
يريد مقاماتِ الأولياءِ، وليالي الله يكون فيها مبتسماً
يرسل الملائكة للرقص، ولا يحاسبُها إن شربتْ منَ النبيذ الصنعاني
حكيتُ عن أهمّ الأحداثِ
بكتْ قواريرُ الحانةِ
سقطتْ بعضُها في حضني
ما أجملَ إنسانيةَ فتياتِ هذه الحانة!
يصفقن للملائكة؛ كي ترقصَ
يصفقن لي
كي أشربَ،
كي أكتب.

محاولة للكتابة بجناح ذبابة

السماءُ صافيةٌ
يزعقُ غرابٌ ضالٌ
يحومُ بشهوةٍ حول سحابةٍ رماديةٍ
يحاولُ تكحيلَ السماءِ بريشةٍ من جناحِه على وشكِ السقوطِ
تسيرُ النجومُ في قافلتِها الشتويةِ
الطريقُ متعرجٌ، لكن يبدو الضوءُ كافياً؛ لتجنّبِ حقولِ الألغامِ
لا يجرؤ أحدٌ على التنبؤ بمدى سلامةِ هذه الرحلةِ
القمرُ مشتتُ النظراتِ،
يترنّحُ
ليس لديه وجهةُ نظرٍ محددةٌ
أنا في حالةِ توترٍ
في مثلِ هذا التاريخِ قبل سنواتٍ
كان لي عشيقةٌ،
كان لي مائدةٌ منَ الورقِ والأقلام
لكلِّ ليلةٍ قصيدةٌ، ورقصةٌ خاصةٌ
نعم، يمكنُكم تسميتُها عشيقةً
هي لم تكن تخجلُ من هذه الصفةِ

المهم كنا نراقبُ السماءَ،
لكن المشهدَ كان يعجُّ بروائحَ فرائحية
نهملُ التلفازَ الذي يبثُّ برامجَ غبيةً
البردُ لا يُقيّدُ العشاقَ،
لا يمنعُهم من تبادلِ القُبلاتِ في الشرفةِ،
أو في الشارعِ العامِ
كنا نتحدّى البردَ
عراةً نصفقُ
عراةً نرقصُ
نصلي من أجل اللاتِ والعزى، ونتمنى لهما جنةً، وأنهاراً منَ الخمر
عراةً ندخن سيجارةَ حشيش،
ونحتسي قصصَ العشاقِ،
نخادعُ الليلَ بمجونِنا البدائيِّ.
***
ها هي تباشيرُ سنةٍ جديدةٍ
أنا وحدي أمامَ مشاهدَ مختلفةٍ
وجهةُ نظري متركزةٌ نحو الحائطِ العاري
الحائط يتحوّلُ لشاشةِ عرضٍ سينمائيٍّ
تظهر يدُ لويس بونويل تدخلُ الكادرَ
يفتحُها، ويقبضها عدةَ مراتٍ،

يسحبُها لخارجِ الكادرِ،
تعودُ الكفُّ، تَحمل حبّةَ طماطمَ كرويةً، مدورةً حمراءَ
يضغطُ عليها بقوةٍ
نتيقّنُ أنه يهرسُها
يفتحُ الكفَّ
تكونُ المفاجأةُ
يكون فيها كتكوتٌ صغيرٌ
يسقطُ على المنضدةِ
يبدو مرهقاً، يترنّحُ
نرى ريشَه الكثيفَ مبللاً بحبرٍ أسودَ
يحاولُ التخلّصَ من هذا البللِ
ينتفضُ،
يفتحُ فمَه،
بعد لحظاتٍ تخرجُ ذبابةٌ من منقارِه
الذبابةُ تحاولُ التحليقَ بصعوبةٍ، كونها بجناحٍ واحدٍ
أنا أجلسُ، وبيدي كأسُ ويسكي
تقتربُ الذبابةُ مني
تحومُ حول الكأسِ
تسقطُ فيه
أنا في حيرةٍ من أمري، هل أكملُ شربَ الويسكي؟

الذبابةُ بجناحٍ واحدٍ!
هل هو جناحُ الداءِ، أم الدواء؟
تخرجُ الذبابةُ منتفخةَ البَطنِ
بعد أن شربتْ كلَّ الويسكي
ترتجفُ
يشدُّني المشهدُ؛ لمعرفةِ الحدثِ القادمِ
تضعُ الذبابةُ بيضةً كبيرةً
تغادرُ المكانَ عبر نافذتي التي نسيتُ إغلاقَها،
بعد لحظاتٍ
تفقسُ البيضةُ
تخرجُ منها نملةٌ تحملُ رايةً، وسيفاً
تصرخُ بشكلٍ هستيريٍّ:
حذارِ الألغام، والصواريخ البالستية،
حذارِ تجار الحربِ
تلقي خطبةً بليغةً سخرتْ فيها منَ الحربِ، والعمالة، وبيعِ الأوطانِ في سوق النخاسة.

***

ثمّ طفقت لدفاترِ أفكاري
بعثرتها
مزقت بعض دفاتر كتاباتي

اختارتْ عشر قصائدَ فقط، وجعلتها معلقاتٍ تزيّنُ جدراني العاريةَ
تغادرُ النملةُ،
تتركُني وحدي
لا أقدرُ على فهمِ ما حدثَ
يحاولُ عقلي عجنَ بعضِ الأفكارِ لقصيدةٍ جديدةٍ
الأريكةُ المتهالكةُ التي أجلسُ عليها تخرّ أرضاً
لعلها سقطت؛ بسبب رأسي الثقيلِ
بقيتْ قطرةٌ واحدةٌ منَ الويسكي
سأشربُها قبل أن تأتيَ ذبابةٌ بثلاثةِ أجنحةٍ
ربما ما حدثَ مجردُ خيالاتٍ جائعةٍ
ربما هي هذه الليلة الأخيرة منَ العام الماضي
تريدُ أن تكونَ خالدةً، لذلك باضتْ هذه الصورَ المرتبكةَ
أشعرُ بالارتياحِ
كنت أخافُ أنَ أتقيأ خنزيراً برياً متوحشاً
في الصباحِ الباكرِ ستتّجهُ بعضُ النساءِ إلى سوقِ الوردِ،
ثمّ سيتّجهُ بعضهن إلى المقابر؛ لقياسِ ضغطِ، ودقاتِ قلوبِ الموتى
أنا هنا وحدي
لن تأتيَ تلك العشيقة؛ لمعرفةِ لو كان العشبُ البريُّ المُعطّرُ على سطح
روحي يُزهرُ
قطر الندى.

السماءُ لا تلتقطُ صلاةَ جدتي
يا الله، نشتاقُ لضحكاتك، وأنت تسمعُ هذيانَ الدراويشِ،
وأنت تسمعُ دعاءَ العجائز، وطلباتهنّ البسيطة!
جداتُنا، وأمهاتُنا قليلاتُ الفقهِ،
لا يمتلكن لغةً نحويةً فخمةً في صياغة الأدعية
يفرحُ الله
يقهقهُ لسماعِ صلواتهن
الفلاحون الأميون يحبون الله
كان يهديهم السُّحبَ حبلى بالمطرِ
تغيرتْ أحوالُ الطقسِ،
أصبحتِ السماءُ مصدرَ الرعبِ
تحتلُّها أحصنةُ النارِ الملعونة
تركضُ فيها شياطينُ الأنسِ؛ لإقامة مبارياتِ كرةِ القدمِ
الرعاةُ لا يجزون العشبَ؛ لخياطةِ الأشعارِ الشعبية

***

أنا هنا كعادتي في الحانةِ
أنتظرُ حصادَ منتصفِ الليلِ
لعلّ أحوالَ الطقس ستتحسّنُ هناك
هنا فتياتٌ يثرثرنَ عنِ الجنسِ، والمتعة
أجسادُهنّ خُلقت معجونةً بالموسيقا

سيقانُهنّ منحوتةٌ للرقصِ
تصلحُ بعضُهنّ كممثلاتٍ في أفلام البورنو
تطوفُ بهنّ مخلوقاتٌ نورانيةٌ
تحرسُهنّ منَ التحرشِ، وتغضُّ بصرَها عند المداعباتِ المراهقة
أسترقُ بعضَ النظراتِ إلى الصدورِ، والأفخاذِ العاريةِ
أحاولُ استدعاءَ بعضِ الحروفِ
أحلّقُ في سقفِ السماءِ
أسمعُ ضجيجَ الملائكةِ، وتذمّرِها
تضربُ بسياطِها السُّحبَ السمينة
السماءُ هنا مزخرفةٌ وسخيّةٌ
ترشُّ كلَّ يومٍ من أثدائِها
الماءَ، والبردَ، والثلجَ
تنهضُ الشمسُ مخمورةً
يتشبّثُ في مؤخرتها قوسُ قزح
أنا بين عالمي هناك، وعالمي هنا
وربما بين ثلاثةِ عوالمَ
الكتابةُ ليست صعبةً لشخصٍ مريضٍ نفسياً
هنا خنادقُ المتعةِ مفروشةٌ باللذةِ
تناديني كائناتُها المُبشَّرةُ بالجنة
هي لا تعرفُ الله

ليس لديها الوقتُ للتفكير فيه

***

أما هناك فتوجد أجسادٌ، وأرواحٌ تصلي خمسين صلاةٍ في اليومِ والليلة

مرهقةٌ من كثرةِ السجودِ، والركوعِ

مع ذلك لديهم أملٌ

أن يبتسمَ لها الربُّ

جدتي تقول: "إن بعد العسرِ يسرا"

يرتجفُ جسدُها الضامرُ

يرتعشُ لسانُها بالتهليل، والتقديس،

لكن يبدو لا أحدَ يفهمُها

السماءُ لا تمدُّ حبالَها؛ لالتقاطِ صوتِها الضعيفِ

ضجيجُ القنابلِ، والمدافعِ يقصفُ صلواتِ الجوعى

السماء لا تبذلُ جهداً إضافياً؛ لاستقبالِ الذبذباتِ الخائفة، والمنكسرةِ

يشاعُ أنّ الملائكةَ تُخططُ لمسيرةٍ تضامنيةٍ مع شعبي،

أو إقامةِ صلاةِ استسقاءٍ؛

كي تبيضَ الأرضُ بطاطا، من أجل الأطفالِ الجوعى

الخمرُ يفعلُ فعلتَه

رأسي يتكوّرُ،

يركضُ في فلكٍ تائهٍ

لا أستطيع إكمالَ هذا النصِّ.

...حكاياتٌ ومطالبُ عاجلةٌ إلى الله من بلادِ اليمنِ السعيدِ
يتحوّلُ الهواءُ إلى كراتٍ جامدةٍ
تتدحرجُ بعضُها على الأرصفةِ المبتلّةِ
بعضُها يتعلّقُ فوق الأسطح، والأسقفِ العالية
يحلمُ قطر الندى بسيقانٍ صناعيةٍ
منذ فقدَ أطرافَه التسعةَ عشرَ، بسببِ مزحةِ لغمٍ كان مزروعاً في أنفِ السماءِ
خافتِ السماءُ أن تعطسَ، فتتبعثر شطائرُ اللغمِ على مستشفى مجانينِ اليمن
في صنعاءَ.. في تهامة، وتعز
في صعدة، وأرضِ جنوبِ بلادِ العربِ
هناك أرسلَ الموتُ بناتِه القبيحاتِ
يمتطين ظهورَ بقراتٍ سمانٍ متوحشاتٍ
يصفقُ لهن مجانينُ اليمن
يحسبونها حافلةَ ركابٍ عليها بابا نويل، والأقزامُ السبعةُ
تقودُها ساندريلا الجميلةُ
يجمعون للضيوفِ قصصَهم، وطرائفَ تسخرُ منَ الساسةِ في سلّةِ الخبزِ الحافي
يصنعون مما بقيَ منَ الشاي والقهوةِ بعضَ الألوانِ؛
كي يرسموا قوسَ قزح رمادياً؛ لتهبطَ عليه حافلاتُ الزائرين

أحدُهم ظنَّ أنه موسمُ الحجيجِ إلى القليس
المجانينُ لهم خيالُهم الخاصُ
منهم شعراءُ يعلقون قصائدَهم على جدرانِ بيوتِ العناكب.
***
تقول بشرى المقطري: "طريقك مسدود، مسدود، مسدود يا وطني."
تأتي الزغاريدُ من تعز
لكن تيساً، وذئباً، وأفعى يبتلعون المرحَ
هناك شبانٌ يحبون الحياةَ، منهم مَن وجدَ عشيقةً في العالمِ الافتراضيِّ،
ومنهم مَـن له خيالٌ يمارسُ العادةَ السرية، دون مقبلاتِ أفلامِ البورنو
– تغريهم القذائفُ بمعانقاتٍ ساحرة.
تتغيّرُ ملامحُهم قليلاً بعد العناقِ
تتغيّرُ طريقةُ ترتيبِ، وقصِّ الشاربِ
تسريحة الشعر تُدهَنُ بالصبغة المعطرةِ
لا يحترقُ أحدٌ منَ السكانِ
لكنّ أحداً منهم لا يملكُ ظلاً
تشوهتِ الظلالُ، أم إنها تستعدُّ لحفلةٍ تنكريةٍ
منها ما يشبهُ سجناءَ جحيم دانتي
الحربُ مجردُ لعبةِ فيديو بي إس فايف
لها زمنٌ محددٌ هكذا أعلنَ المذياعُ القديمُ
هكذا نقلَ العبارةَ، رغم وشوشةِ خوارِ البقرِ في السماءِ القريبة

المطلوبُ أن يركضَ الناسُ
المطلوبُ منهم التفنّنُ في لعبة الغميضة
لم يكنْ أحدٌ مستعداً للعبِ دورٍ خطيرٍ في حلبةِ السيركِ كهذه
وهناك شواعرُ يمنياتٌ كنّ يكتبن عنِ الحبِّ، ومعانقةِ العشيق
عن حلمة الثديِ تداعبُها شفراتُ رغوةِ الصابون
اليومَ يكتبن عن أمهاتٍ حبالى يطلبن منَ الأجنّةِ عدمَ الخروجِ منَ الأرحام،
فالوضعُ ليس مناسباً، لإقامةِ طقوسِ الختانِ
الناسُ نسيتْ كيف ترقصُ، وماذا ستغني؟
بعد أن أكلتِ الأرضُ حرفَ الحاءِ من كلمة حلم
يسألُ أحدُهم صديقه: هل استلمت حصتك كيساً منَ النار، وكرتوناً من الحرائق؟
كي تنثرَها على سقف بيتك، ثم تصب من الميزابِ تغسل بها أجسادَ أطفالك، وتدهن بها زوجتك،
وقنينة منَ الدموعِ توصي جارَك أن يسقيها شجرةَ التين الشوكي التي ستنمو على قبرك.
تحاولُ الأرواحُ تسلّقَ السماءِ
ترفسُها الملائكةُ، كون الرئة اليسرى بيضاءَ فاقع لونها ومرعب، بسبب الإفراطِ في تدخينِ السجائرِ والمعسل،
والرئة اليسرى أصابتها السمنةُ المفرطةُ، بسببِ غازاتٍ غيرِ معروفةِ المصدر.

الأطفالُ لهم خيالُهم الخاصُ،
يظنون أنّ الكواكبَ السماويةَ المدورةَ بسكويتُ (أبو ولد)
يتسابقون لتسلّقِ الجدرانِ،
يمدون أيْديَهم إلى صدرِ السماءِ،
يعودون لبيوتِهم يحملون أيديهم، وأرجلَهم في أكياسٍ بلاستيكية غيرِ نظيفةٍ عثروا عليها في المزابلِ
تسارعُ الأمهاتُ لعدِّ الأسنانِ اللبنيةِ المتبقية،
والتقاطِ الأسنانِ المكسورةِ، وحفظِها في صناديقَ صغيرةٍ وزعتْها قواتُ التحالفِ لهذه المناسبة،
ثمّ يلتقطن صوراً للحادثة، ونشرها على الفيسبوك
مع مناشدةٍ للجامعةِ العربية بإنزالٍ مظليٍّ عاجلٍ؛ لتوفيرِ أكياسٍ بلاستيكيةٍ نظيفة تُوزَّعُ على الأطفالِ مجاناً.

***

يلتقطُ الصورةَ صديقي الشاعرُ باسم قاسم
يكتب "أتلاحظون
وحدَنا
نتدرّبُ على طقوسِ
القيامةِ
مثابرين"!
أيقنت أن أبوابَ الحزنِ السبعةَ انفتحت؛ لتلتهمَ الشعراءَ

أعذريني يا عشيقتي لن تكوني في هذا النصِّ
لن أسردَ ذكرياتِ ليالي الجنس، والخمر، والقصائدِ الغرامية
لن أتحدثَ عن نهديكِ، وأسرارِ جغرافيا أنوثتك
لن أعاتبَكِ على هجري، وليس لديَّ وقتٌ لسماعِ مبرراتِكِ
الحربُ شربتِ الأعضاءَ التناسلية للأجنّةِ في بطونِ أمهاتِهم
يولدونَ لا ذكوراً، ولا إناثاً،
يخرجون في اليومِ السابعِ في مظاهراتٍ مليونية
يهتفُ الشعبُ:(نريد نظاماً، وجيشاً يضمنُ لنا قبوراً لها معالمُ واضحةٌ بعد الممات)
يوضحُ ناطقٌ حقوقيٌّ لم يؤجّرْ حبالَه الصوتيةَ لقناتي الجزيرةِ، والعربية يقول:(الناسُ تريدُ قبوراً عليها توبيكاتُ آياتٍ قرآنيّةٍ مزخرفة، عليها مقولاتٌ شهيرةٌ لأولياء الله).
الأطفالُ يدعون الله أن يرسلَ لهم وليّاً صالحاً، وله كراماتٌ كابنِ علوان والجيلاني
طويل القامة، وله كتفٌ عريضةٌ، وشاهقٌ بمساحةٍ واسعةٍ
تكفيهم للرقصِ،
ومصافحةِ النجومِ المبتسمة.

لا أملك حلاً لما يحدث

ماذا لو أن الكبشَ السماويَّ أفلتَ من سِكّينةِ إبراهيم؟
ليتها ادّخرتْه لهذا الزمانِ،
ألا يستحقُّ ضحايا حروبِ اليومَ كبشاً، أو ثوراً مقدساً؟!
زفيرُ الموتِ ليست له رائحةُ الليموند
عطسةُ الموتِ مالحةٌ
يا سماءُ صبّي اللبنَ
يتدفّقُ نهرٌ منَ الشايِ المُثلّجِ
كان ذلك في حلمي خلالَ نعسةٍ مخمورةٍ
الأمهاتُ ينسجن قبعاتٍ خضراءَ لَمن هم في قائمةِ الموتِ،
لَمن أضافَهم الموتُ، دون مشاوراتٍ، أو تفاوضٍ،
لَمن استدرجَهم خطباءُ الجمعة بحكاياتٍ خياليةٍ
لمنتظرين نتائج تقسيم غنائمِ معركةِ حنين
لمنتظرين ترميم سدِّ يأجوج، ومأجوج
أنا لا أملكُ حلاً لما يحدثُ
أعدُكم أن أريقَ رشفةً من كأسي قربَ قبرِ عاشقٍ،
أعدُكم أن أذهبَ للحانةِ كلَّ مساءٍ
حقلٌ منَ الألغامِ الورديةِ

العشبُ الأصفرُ
دخانٌ مُسممٌ، ورائحة برتقالةٍ
كلُّها تغرينا بالركضِ دونَ أحذيةٍ
بياضُ رغوةِ الموجِ
أهازيجُ ولائم العزاءِ
تحضرُ الملائكةُ مع مترجِمِها الخاصِ
غبارُ الحرائقِ يجعلُ المَهمةَ روتينيةً
لا بطاقاتِ لَمن تناثرتْ أطرافُهم
أغاني راعيةٍ صغيرةٍ
تقول:
يا الله، مطر .. مطر.